الإلحادُ في مهبِّ الريحِ

الشَّيخُ
مُحمَّدٌ مُصطفى مصريُّ العامليُّ

الإلحاد
في مهب الريح

سلسلة العلم والإيمان (٢)

الإلحاد في مهب الريح

الشيخ محمد مصطفى مصري العاملي

mohammad@masrilb.net

منشورات
الجمعيّة العامليّة لإحياء التراث
www.amililb.net

الطبعة الأولى
دار بلال للطباعة والنشر
بيروت، لبنان ٢٠١٨ م

للحصول على الكتاب:
من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢
من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

جميع الحقوق القانونية محفوظة للمؤلف

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّد مخلوقاته محمد وآله الطيبين الطاهرين.

يتضمن هذا الكتاب: عشر مقالات[1] مُبسَّطة قدر الإمكان..

تبدأ من **جدليّة العلم والدين**.. لتغوص مع **أشهر الملاحدة المعاصرين** في بطون كتبهم.. وتقرأ سطورهم وما بينها.. لتكشف عن **ضحالةٍ فكريةٍ، وضعفٍ علميٍّ هائل، وتناقض رهيب، وتغييب لدور العقل والمنطق في تبني الإلحاد**..

ثم تعمد إلى إلزام الملحدين بلوازم اعتقادهم.. **فإرشادهم إلى مدرسة علي** عليه السلام، **منارة العقل والدين**..

وتهديهم إلى طريقٍ **ينجيهم من سياط المجتمع** المجرّدة عليهم.. **لمّا عادوا أنفسهم وعاندوا الحق**.. لتبيّن لهم أن **الدين**.. **فوق شبهات الملحدين**..

محمد مصطفى مصري العاملي

الإثنين في ١٦ ذي القعدة ١٤٣٩ للهجرة

الموافق ٣٠-٧-٢٠١٨ للميلاد.

---

(١) نشرت هذه المقالات العشر على شبكة الانترنت في منتديات يا حسين، باسم مستعار يتناسب ومنتديات الحوار هو (شعيب العاملي).

مقال ١: العلم في خدمة الدين

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

شهدت البشرية اكتشافات علميّة مذهلة في القرن الأخير، وتسارعت وتيرة التطور في مختلف المجالات العلمية بشكلٍ غير مسبوق، واستفاد عامة الناس من بعض ذلك النتاج، بما في ذلك العلوم الطبيعية (كالفيزياء والفلك والأحياء) والتطبيقية (كالهندسة والصحة) والعلوم الشكلية والإجتماعية وغير ذلك..

وكان للجهود الجبارة التي بذلها العلماء في هذه المجالات وسواها صدىً إيجابي واسع على المستوى الإنسانيّ، يقدّره كلُّ عاقل، ويحاول الجميع الاستفادة من التقنيات المذهلة والخبرات العالية في مختلف مجالات الحياة الشخصية والعامة.

وكان **أن قدّم العلم الحديث لأهل الدين مادة غزيرة** تضاف إلى كل ما عرفوه في هذا الكون **ليتأملوا فيها ويتفكروا ويتدبروا فيما خلق الله تعالى، فيزيدهم ذلك إيماناً بالله تعالى** أو تسليماً بقدرته أو اعتقاداً بعظمته، أو معرفةً بأسرار خلقه.

وقد أرشد الله تعالى الناس في كتابه للتدبر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء وما بثّ في الأرض من دابة، وجعل ذلك وغيره آيات يتفكر فيها العاقلون، وما أكثر هذه الإشارات في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والْأَرْضِ** رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً﴾[٢].

فصار العلم بهذا المعنى خادماً للدين وأهله، فشكر المؤمنون هؤلاء العلماء

---

(١) نشر هذا المقال في: ٢٤ محرم الحرام ١٤٣٩ للهجرة، الموافق لـ ١٥-١٠-٢٠١٧ للميلاد.
(٢) آل عمران ١٩١.

على جهودهم كما شكرتهم الإنسانية جمعاء.

ولم يكن الدين عموماً، والإسلامي خصوصاً وهو الذي يمثله مذهب آل محمد عليهم السلام مدَّعياً أنه يقوم مقام كل العلوم في زماننا هذا وهو زمن الغيبة، فإن أئمة الدين العالمون بتعليم الله تعالى مُغيّبون عن مسرح الأرض ظاهراً، وما بين أيدي المؤمنين الآن هو **علمُ وفِقه الضرورة الذي يُسَيِّرون به أمورهم**، فلا يمنعهم هذا من الاستفادة من العلماء في كل فن وعلم.

لكن العاقل لا يأخذ كل ما يطرح أمامه تحت عنوان (النتائج العلمية) أخذ المسَلَّمات دون تثبّت وتحقّق.

لأن كل العلماء يقرون بأن ما توصلوا له **ليس هو الحقائق العلمية المطلقة**، فمعظم النظريات التي توصلوا لها هي نظريات قابلة للنقاش، وكم **اندثرت خلال السنوات الاخيرة من نظريات** كانت تعد بالامس القريب أشبه بالحقائق العلمية، وكم نشأت نظريات جديدة لم تخطر على بال الناس قروناً.

ولا يُعدم الشغوف بالنظريات المئات منها والتي يسمع جديدها كل يوم..

وكلما زادت المعرفة البشرية عن النفس والكون وقوانينه، كلما زاد الإقرار بأن **ما خفي عنا أعظم مما عرفنا**، وأنا كلّما فتحنا باباً من أبواب العلوم كشف لنا عن أبواب جديدة كانت مجهولة تماماً لدينا..

ويدرك العاقل تماماً أن هناك فرقاً كبيراً بين (**الحقيقة**) وبين (**الفرضية**) وبين (**النظرية**) وبين (**القانون**)، بل إن هناك اختلافاً بين العلماء في تعريف كل واحدة منها وفي تحديد معاييرها..

فسقوط الأجسام نحو الأرض (حقيقة)، تفسرها (نظرية الجاذبية) لنيوتن

Newton، ويختلف (قانون الجاذبية) عنهما معاً وفق المعادلة الرياضية المعروفة.

والمعروف أن **الفرضية هي تفسير محتمل للحقائق لكنه يحتاج لإثبات.**

والنظرية هي فرضية تطرح ضمن إطار متكامل يُعتقد أنه يكفي لإثباتها، ويعمل على دعمها بالحقائق والقوانين.. فإن تم ذلك فهي (نظرية علمية) وإلا لا تكون علمية، ورغم ذلك تبقى (النظرية العلمية) **محتملة للصواب والخطأ،** فقد يظهر مع مرور الوقت خطأ ما فيها يحتاج إلى تعديلها، وقد يظهر بطلانها من الأساس فتحل محلها نظرية جديدة وهكذا..

فبينما يُعَدُّ اكتشاف جملة من الحفريات بصفاتٍ خاصة (حقيقة) لا تقبل النقاش، يُعَدُّ القول بأن هذه الحفريات ترجع لحيوانات تناسلت من بعضها **فيرجع الإنسان والقرد إلى أبٍ أعلى شبيه بالقرد ثم يرجعان معاً وسائر الحيوانات إلى سمكة!** يعد هذا (فرضية) أو (نظرية) بأحسن حال، تفتقد إلى دليل وبرهان.

فإن قام الدليل عليها صارت (نظرية علمية) وإن لم يقم بقيت نظرية بلا برهان.

وبينما يعد القول بوجود عدد كبير من النجوم والمجرات وتحديد بعض خصائصها (حقائق علمية) يعد القول بأنها نتجت عن (انفجار كوني) (نظرية) يتوقف إثباتها على قيام الدليل والبرهان على ذلك..

لقد ساد الاعتقاد فترة طويلة أن الشمس في وسط مجرة درب التبانة مثلاً، ثم اندثر هذا القول.

وقد اعتقد العلماء طويلاً أن الكون يتألف من مجرتنا فقط.. ثم زادت الاكتشافات العلمية حتى وقع الحديث عن ١٠٠ ثم ٢٠٠ ثم ٤٠٠ مليار مجرة في

مجال الرؤية فضلاً عما هو خارج عن مجال الرؤية..

وبعد ان كان الاعتقاد سائداً أن الكون تكون قبل ١,٥ مليار سنة ساد الاعتقاد أنه تكون قبل أكثر من ١٣ مليار سنة..

قد لا يكون أحدنا قادراً على الحكم بصحة أو بطلان هذه النظرية أو تلك..

وقد لا نعرف فعلاً هل أن عمر الكون يقرب من ١٣,٧٢ مليار سنة؟ أم أنه ١٢,٥ مليار؟ أم انه أضعاف ذلك كما يقول بعض العلماء؟

وهل حصل انفجار كبير عند بدء خلق الكون أم لا؟

وإن سلمنا: فهل هو الانفجار الاول؟ أو هو الأخير في سلسلة انفجارات نشأت من انكسارٍ عظيم أهلك الكون السابق؟

أم أنّ تكوّن الكون ينشأ بواسطة ما يسمونه الثقوب السوداء فيولد الكون أكواناً؟ وهل هناك كون أم أكوان؟

وهل (الكون) مسطح كما يقول جمع من العلماء اليوم؟! ولو بمقدار ما تم اكتشافه؟

وهل هذا الكون ثابت كما سبق وقيل؟ أم لا يزال في حالة تمدد وتضخم كما يقول اغلب العلماء اليوم؟

وهل سيستمر التمدد في التزايد كما يقول بعضهم؟ أم ستنخفض سرعة التمدد؟

وهل أن هناك سرعة تفوق ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية فتسبق سرعة الضوء؟ أو هل سيتم اكتشاف ما هو أسرع من ذلك في المستقبل؟

وهل ستثبت صحة نظرية العالم ماكيوجيو ***João Magueijo*** بأن سرعة

الضوء كانت أكبر من ذلك ثم انخفضت؟

رغم كل ذلك.. فإننا نستفيد من أغلب الاكتشافات العلمية في المجال الإنساني والديني على السواء، **ولا يزيدنا العلم الجديد إلا إيماناً ويقيناً**، فإنّ موافقة العلم الحديث واكتشافه للكثير مما أتى به الشرع الحنيف، يؤكد أن مصدر العلوم الدينية من علّام الغيوب.

ونحن **لا نريد أن نحصر تفسير النصوص الدينية بما يوافق الاكتشافات العلمية الحديثة**، لأنا نظن أن النصوص الدينية **أعمق بكثير من تفسيراتنا المتواضعة المتغيرة يوماً فيوم**، فإن مصدر النصوص بحسب اعتقادنا هو خالق الكون المحيط به.

ولا ننكر كذلك أن الكلمات في النصوص الدينية تتناسب مع العقل البشري بظاهرها، وقد يستفيد منها أهل كل زمان بما يتناسب مع زمانهم، لكن **ليس لنا أن نربط جازمين بين فهمنا المحدد لهذه النصوص وبين الاكتشافات العلمية الحديثة**، ولا أن نحصر المعنى المراد منها بما نفهمه فإن معناها العميق عند أئمة الدين عليهم السلام.

دعاة الإلحاد

بعد الثورة العلمية الكبيرة في الغرب، تَرَدّدَ صدى دعاة الإلحاد في الشرق مجدداً.. وتَغلَّف بإطارٍ عِلميٍّ حيث تبنى جملة من العلماء الإلحاد وروج له بعضهم وحارب الأديان وعدّها منشأ الشرور في الدنيا!

ولكن سرعان ما بان زيف هذه الدعاوى **لمخالفتها للمعايير العلمية في الإثبات والنفي** التي رسمها هؤلاء بأنفسهم، ولكثرة التناقض عند أصحاب هذه

الدعاوى.

وقد **زعموا أن الأديان كلها لا تعتمد على الدليل** في دعواها، **ونسبوا لها الدعوة إلى تعطيل العقل** والمنع عن البحث عن أي دليل! وهي دعاوى كبيرة يبقى إثباتها على عهدة مدعيها.

وهذه سلسلة من الأبحاث التي تناقش أفكار هؤلاء الملحدين، لا من جهة تخصّصاتهم العلمية، إنما يهمنا في ذلك بيان أمور:

١. أن **الدعوة للإلحاد في حقيقتها دعوة لترك العلم والتمسك (بالجهل)**، إذ حقيقة مواقف أغلب الملحدين اليوم توصلهم إلى (اللا أدرية) وهي الإقرار بالجهل بعينه.

٢. أن **الدعوة للإلحاد تناقض (المعايير العلمية)** في مختلف العلوم، وأن دعاة الإلحاد قد وقعوا في (تناقض رهيب) بين مناهجهم والنتائج التي تمسكوا بها.

٣. أن **ما اعتمد عليه الملحدون أضعف بكثير مما عابوا على المؤمنين التمسك به**، فالمؤمنون يستدلون **بأدلة عقلية منطقية** قد أنكرها الملحدون فيما وافقوا على ما هو أدنى منها بمراتب.

ولا يخفى أن الملحدون وبعد فشلهم الذريع في الترويج ل(دينهم) الإلحادي، وبعد سعيهم لنشر نظرياتهم ودعواتهم أمام عامة الناس وتبسيطها بطريقة واضحة للعامة، **ناقضوا أنفسهم** تماماً حين دعوا إلى كفّ يد المؤمنين عن ساحة العلم، وكأن المؤمن قد فقد حّقه الإنساني في التفكير والنظر في الأدلة لقبولها أو ردها.. فيما يحق ذلك لغير المؤمن فقط!

إنها **مصادرة بغيضة تكشف عن ضعف هائل في المنظومة الفكرية والمنطقية،**

بحيث يشجعون الناس على النظر في كلماتهم لتبنيها، أما من لا يتبناها من أهل الإيمان **فيحجرون عليه البحث والنظر في الأدلة.. لكن الميدان.. يخضع للحجة والبرهان**.. وهو ما تبيّنه المقالات الآتية إن شاء الله[1].

(١) في آخر الكتاب ملحق يتضمّن محاضرة مرتبطة بهذا البحث تحت عنوان: **العلم بين الالحاد والايمان**، لسماحة الوالد الشيخ مصطفى محمد مصري العاملي، ألقاها في جامعة المثنى في العراق.

مقال٢: الإلحاد في مهب الريح!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الإلحادُ كالإيمان.. مفهومٌ قديمٌ متجدّد.. يتسع تارة ويضيق أخرى..

وهو بحسب اللغة العربية واسع المعنى، فهو (ميلٌ عن استقامةٍ) كما في معجم مقاييس اللغة: **الحَدَ الرّجلُ: إذا مال عن طريقةِ الحقِّ والإيمان**[٢].

وفي لسان العرب: **الإلحاد في اللغة المَيْلُ عن القصْد**[٣].

لكن الإستعمال المتأخر صار يضيق شيئاً فشيئاً.. حتى صار يُعرف بأحد مصاديق المعنى اللغوي وهو (إنكار الإله)، ففي معجم اللغة العربية المعاصر عرف بأنه: **مذهب من يُنكرون الألوهيّة**.

وفي معجم المعاني الجامع: **رَجُلٌ مُلْحِدٌ: مَنْ يَجْحَدُ وُجُودَ الله**.

وفي اللغة الانجليزية عرّف ***atheism*** في قاموس اكسفورد بأمرين: **الكفر، أو عدم الاعتقاد والإيمان بوجود الله أو الآلهة**[٤].

وقريب منه قاموس ويبستر الشهير ***webster***، إلا أنه استبدل الكفر بـ(الكفر القوي)[٥].

وأضاف للتعريف اللغوي الموقف الفلسفي والديني وهو: الكفر بوجود الله

---

(١) نشر هذا المقال في ٢٦ محرم ١٤٣٩ هـ.

(٢) معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٢٣٦.

(٣) لسان العرب ج٣ ص٣٨٩.

(٤) *Disbelief or lack of belief in the existence of God or gods.*

(٥) *a :a lack of belief or a strong disbelief in the existence of a god or any gods.*

أو أي إله آخر[١].

فالمعنى المعاصر للإلحاد إذاً هو: **الكفر بوجود الله وإنكاره.**

ومع التوسع في المعنى المعاصر فإنّه صار يشمل أيضاً: **عدم الإعتقاد بوجود الله أو الآلهة، وإن لم يكن ناشئاً عن إنكار.**

والفارق بينهما واضح فالأول من **يكفر بالله تعالى وينكر وجوده،** والثاني من **لا ينكر وجود الله تعالى ولكنه لا يعتقد به،** أي لم يثبت عنده وجود الله تعالى.

والثاني قريبٌ من (اللا أدرية) أو (اللا دينية) بحسب بعض تعاريفها، وقريبٌ من بعض أقسامها بحسب تعاريف أخرى لها.

وقد حاول جمعٌ من علماء الغرب الملحدين (بالمعنى الأول وهو إنكار وجود الله) الترويج للإلحاد، والتهجم على أصحاب الاعتقاد بوجود الله تعالى، ودعوا المؤمنين إلى ترك الدين أياً يكن، واستهزؤوا بهم وبدينهم أيما استهزاء، **وصوّروا لعامة الناس أن العلم الحديث يثبت مذهبهم، ويبطل الاعتقاد بالله تعالى.**

ولأن الإنصاف يقتضي النظر في كلمات هؤلاء قبل إجابتهم، فإن **جولة في أهم ما كتب عن الإلحاد في السنوات الأخيرة تبيّن بشكل واضح جداً عجزهم عن الاستدلال على ما يذهبون إليه تماماً.**

فتراهم يقرون **بأمرين:**

الأمر الأول: أنه **(ليس لديهم دليل على عدم وجود الله تعالى).** والحال أن عدم وجود الدليل ينبغي أن يكون مانعاً من الإنكار عند المنصفين، فنفي الوجود كما

---

(١) *b :a philosophical or religious position characterized by disbelief in the existence of a god or any gods.*

إثباته يحتاج إلى دليل.

الأمر الثاني: وهو الأهم، أنه يقرّون بأنه **(لا يمكن لأي عالم) أن (يبرهن على عدم وجود الله تعالى)**.

وهذا الإقرار وحده **ينسف مذهب الإلحاد نسفاً.. ويذره قاعاً صفصفاً..**

وحيث يطيب لنا وصفه بالمذهب الذي يتعصب له أصحابه، فإنه مذهبٌ رايته الإنتقال من الإيمان (وهو العلم بوجود الله) إلى الإلحاد (وهو الإنكار الناشئ عن جهل لا عن علم، أو الجهل المحض دون إنكار).

وهو **انتقال من النور إلى الظلمة**.. ظلمة بسيطة (وهي ظلمة الجهل)، أو ظلمات بعضها فوق بعض (ظلمة الجهل وفوقها ظلمة الإنكار).

وهذه بعض العبائر لأبرز الملحدين المتأخرين والتي يقرّون فيها بالعجز:

١. عالم الأحياء التطوري وسلوك الحيوان **د. ريتشارد دوكنز *Richard Dawkins***، وهو من أهم رموز الإلحاد في الغرب هذه الأيام، يقول:

> أنا أعيش حياتي كما لو لم يكن هناك إله، لكنكم **لن تجدوا أي عالم من أي اتجاه عقلي يمكن له أن يبرهن لكم على عدم وجود أي شيء، ليس باستطاعتي أن أثبت عدم وجود إله..**
> أعيش كمُلحد، لكنني **كعالِم لا أقدّم أي برهان على عدم وجود إله**، لهذا أنا (لا أدروي/ لا ديني) فيما يتعلق بوجوده المفترض[1].

ويقرّ في كتاب آخر بعدم القدرة على الإجابة على وجود الخالق أو غيابه

(١) حوارات سيدني ص٢٦-٢٧.

فيقول:

وجود أو غياب الخالق الخارق هو سؤال علمي بشكل صريح **على الرغم من عدم قدرتنا حتى الآن الاجابة عليه**[١].

٢. أستاذ علم البيئة والتطور في جامعة شيكاغو جيري كوين ***Jerry Coyne***، يقول:

وبعد، **فإن العلم لا يمكنه استبعاد إمكانية التفسير الخارق للطبيعة تماماً**[٢]..

٣. أحد أشهر علماء الفيزياء والفلك في أميركا، لورانس كراوس ***Lawrence Krauss***: يقول عندما يسأل (هل أنت ملحد؟):

ليس بالمعنى الذي أستطيع أن أدّعي حاسماً أنه لا يوجد إله أو غاية من الكون[٣].

وعلى هذا المنوال جرى أكثر العلماء الملحدين المعاصرين حين أقروا بعجزهم عن إقامة أي برهان على عدم وجود الله تعالى.

وهم في ذلك حذوا حذو الكثير ممن سبقهم من العلماء، ومنهم:

٤. مشيّد نظرية التطور والارتقاء (تشارلز داروين ***Charles Darwin*** المتوفى سنة ١٨٨٢) حيث كان قد سبقهم إلى مثل هذا القول حين قال في رسالته للقس

(١) وهم الإله ص٦١.
(٢) لماذا التطور حقيقة ص٢٣٥.
(٣) كون من لا شيء ص٢٤٦.

جون فورداييس ما مضمونه أنه **لم يكن في يوم من الأيام ملحداً بمعنى الإنكار لوجود الله تعالى**، بل إنه يعتقد أن (لا أدري) هي الوصف الأقرب لحالته[١]..

وقد أقر بهذا المعنى عن داروين جملة من الملحدين ايضاً من أبرزهم **ريتشارد دوكنز *Richard Dawkins*** حين يقول:

> لقد كان دارون نفسه يفضل كلمة (لا أدري/ لا أعلم) وهنا أقتبس من قوله: **إنني لم أكن أبداً ملحداً ينكر وجود الله، بل إنني مجرد شخص لا يدري**، هذه هي الحالة التي أصف بها ذهني[٢].

فإذا كان هؤلاء وأمثالهم يقرون بعجز العلم عن نفي وجود الله تعالى.. فإنهم **يقرّون بأن الإلحاد بمعنى الإنكار كحال بيت العنكبوت أمام أعتى الأعاصير**..

لكن.. لماذا يا ترى يذهب هؤلاء (العلماء) إلى الإلحاد مع إقرارهم بما تقدم؟!

بعيداً عن الأسباب الشخصية، والخلفيات الدينية في المجتمعات التي عاشوا فيها، **والعقد النفسية**[٣] التي عاشها كل واحد من هؤلاء (إذ لا يمكن عدُّها مادّة في

---

(١) راجع رسالته الانجليزية المؤرخة في ٧-٥-١٨٧٩، ومما جاء فيها: *In my most extreme fluctuations I have never been an Atheist in the sense of denying the existence of a God. I think that generally (and more and more as I grow older), but not always, that an Agnostic would be the more correct description of my state of mind.*

(٢) حوارات سيدني ص٦٢.

(٣) فضلاً عن العوامل النفسية أثناء فترة الطفولة، والمشاكل العائلية والأسرية والاجتماعية والأخلاقية التي عانى منها معظم الملحدين، تظهر في كلمات كثير منهم (وقد ذكرنا بعضها في هذا الكتاب): النرجسية، والإحساس بالطبقية تارةً وبالدونية عند نبذ المجتمع لهم تارة أخرى، خاصة بعد تشكيكهم بالمسلمات والبديهيات، وما يترافق مع ذلك من قلق واضطراب، إضافة إلى حب الظهور والشهرة وغيرها من الأمراض والعقد النفسية.

النقاش العلمي)، يمكن لنا **أن نلاحظ موقفاً مسبقاً منهم تجاه الأديان عموماً،** وخالق الأكوان خصوصاً، ما جعلهم يستبعدون أي منطق يوصلهم إلى الإقرار بوجوده تعالى..

وفي كلماتهم الكثير من هذه الإشارات منها:

١. **عدم التعاطف مع عقيدة الخلق.**

يقول لورانس كراوس ***Lawrence Krauss***:

> أعترف من البداية بأنني **لا أحمل تعاطفاً تجاه قناعة أن الخلق يتطلّب خالقاً،** وهي القناعة التي تمثِّل جوهر كل أديان وديانات العالم[١].

٢. **عدم الرغبة في العيش مع الله!!**

يقول كراوس ***Krauss*** عن نفسه وعن صديقه الصحافي الناقد للأديان كريستوفر هيتشنز ***Christopher Hitchens***:

> ما أستطيع أن أزعمه بحسم هو أنني **لم أكن لأرغب العيش في كون واحد مع الله،** بينما يجعلني ضد الألوهية كما كان صديقي كريستوفر هيتشنز[٢].

٣. الخلفية المسبقة **بالنفور المطلق من أي قدرة خلقت هذا الكون،** فبعد تعريف ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins*** للإله بذلك يقول:

---

(١) كون من لا شيء ص١٥.

(٢) كون من لا شيء ص٢٤٦.

بهذا المعنى **فإن الإله سيكون وهماً، وفي فصل آخر سأبين بأنه وهم خبيث أيضاً**[١]**!!**

فإن الخلفية المسبقة التي انطلقوا منها صارت هي **الحاكمة على منهجهم فخرجوا عن الموضوعية والمصداقية** كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

مغالطة وردُّها

على أن **لهؤلاء مغالطة** لا ينبغي إغفال الجواب عليها..

فإنهم بعد إقرارهم بأنهم كملحدين **عاجزون عن نفي وجود الله تعالى**، لجؤوا إلى مغالطة أخرى مفادها أنه بالرغم من عدم قيام الدليل على أي أمر، إلا أنه يمكن الاعتقاد بأنه خيال ووهم!

وقد **قدموا لهذه الشبهة مقدمة** وهي:

ان استحالة البرهان على وجود أو عدم وجود شيء ما لا يجعل وجوده من عدمه على نفس الدرجة الاحتمالية[٢].

وبالتالي فالباب مفتوح أمام لا أدريّة يقوى فيها أحد الاحتمالين، وهي لا أدريةٌ يُطمئن معها بعدم وجود الله بزعمهم! وضربوا لذلك أمثلة منها:

المثال الأول، قولهم:

لا أدريتي بالنسبة لله على نفس المستوى تماماً عندما يتعلق الأمر

(١) وهم الإله ص٣٣.
(٢) وهم الإله لدوكنز ص٥١.

بالجنيّات التي تسكن في الحديقة[١].

المثال الثاني، قولهم:

٢. **ملحدٌ بنفس الطريقة التي أؤمن بها بأنه لا وجود للكائنات الفضائية أو الشخصيات الخيالية** التي تقصها علينا الخرافات الدينية[٢].

المثال الثالث: أنها شبيهة بقولهم:

لا أستطيع أن أزعم حاسماً أنه لا يوجد إبريق شاي يدور حول عطارد كما قال براتراند راسل ذات مرة، **فهذا أمر مستبعد بطبيعة الحال بشدة**[٣].

والحال أنّهم قد **خلطوا بين الأمور خلطاً عجيباً، وناقضوا أنفسهم** أيّما تناقض، **وداسوا على حقل الأدلّة دوساً مفرطاً.**

إذ يلاحظ على أمثلتهم:

١. المثال الأول:

إن الذي يعتقد بوجود الجن فإنه **يحتمل وجود الجِنيّات في حديقة منزله ويحتمل عدمه**، إذ يعتبرها خلقاً من خلق الله تعالى تتواجد على هذه الأرض دون أن يراها، فيحتمل فعلاً أنها في هذا المكان كما يحتمل أنها في ذاك.. وبالتالي فهي **في دائرة**

(١) وهم الإله لدوكنز ص٥٣.

(٢) حوارات سيدني لدوكنز *Dawkins* ص١٠٧.

(٣) كون من لا شيء للورانس كراوس *Lawrence Krauss* ص٢٤٦.

الإمكان عنده وهو يجهل وقوعها من عدمه.

أما **من لا يعتقد بوجود الجن أصلاً** فاعتقاده بعدم وجودهم في الحديقة **أمر قطعي لا يقبل الشك**، ولا ينطبق عليه أنّه من اللاأدرية أبداً.

إذاً فالمثال إما أن ينطبق على اللا أدرية الحقيقية بأن نجهل فعلاً وجود الجن وعدمهم، أو أنا نقطع بعدم وجودهم.

فلا ينفعهم المثال والاستدلال في شيء أبداً.

٢. المثال الثاني:

وحاله كالمثال الأول، فإن وجود كائنات في الفضاء وعدمه هو أمر ممكن جداً، ومع عدم التمكن من إثباته بدليل يدخل فعلاً في اللا أدرية فلا يمكن التوصل به للإلحاد والإنكار.

وإن (الشخصيات الخيالية) مع اعتقاد كونها خياليةً سواء كان مروّج الخيال فيها دينياً أم علمانياً.. فإن الاعتقاد بعدم وجودها لا ينسجم مع اللا أدرية بوجه، بل **يقطع الإنسان بعدم وجود مصداق حقيقي للشخصيات التي ينسجها خياله أو يعلم لها ناسجاً**، فيتمكن من إنكار ذلك بشدة لأنه **عالم بعدم وجودها حقيقة**. فهل هناك ما هو أوضح من كون (السنافر وباباي وميكي ماوس..)[1] غير موجودة فعلاً؟! فأين هذا من اللا أدرية؟ فيسقط استدلالهم الثاني لعقمه.

٣. المثال الثالث:

يلاحظ عليه **أن دوران إبريق الشاي حول عطارد هو أمر يمكن البرهان على عدمه بطريقة منطقية**، وهذه الطريقة المنطقية نفسها يتم البرهان بها على وجود الله

(١) هي رسوم كارتونية للأطفال: *The Smurfs, Popeye, Mickey Mouse*

تعالى كما سيأتي لاحقاً.

بيان ذلك:

أن صاحب الإشكال برتراند راسل ***Bertrand Russell*** ذكره كالتالي:

> إذا أمكنني أن أشير أنه يوجد بين الأرض والمريخ إبريق مصنوع من الخزف الصيني يدور حول الشمس في مدار بيضوي، لا يمكن لأحد أن يدحض افتراضي، إذا كنت حريصاً على ذكر أن الإبريق أصغر من أن تراه أقوى التلسكوبات الموجودة عندنا[1].

فلو كان المراد مما يدور **حجراً أو صخرة أو كوكباً** يدور حول كوكب آخر، **لكان ذلك ممكناً فعلاً كما تدور الكثير من الكواكب حول بعضها البعض.**

ولو كان المراد منه **آلة ذكية قام الإنسان بوضعها في مسار معين** كما هو حال الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض **لأمكن رصدها ولكان وجودها أمراً ممكناً قابلاً للوقوع.**

لكن فرض تحرك (إبريق شاي) هو **فرض غير ممكن التحقق في أيامنا بحسب الخبرات البشرية**، فلم تتمكن البشرية بعد من إطلاق ما يوازي إبريق شاي ليكون كقمر صناعي يدور حول الأرض فضلاً عن المريخ.

وانطلاقه لوحده دون تقنية بشرية وطيرانه إلى المريخ ودورانه تلقائياً حوله

---

(١) نقل كلامه هذا في مواقع عدة على شبكة الانترنت عن مقال له تحت عنوان: *Is There a God?* كتب لمجلة *Illustrated* سنة ١٩٥٢ لكنه لم ينشر كما قيل، ونص كلامه: *If I were to suggest that between the Earth and Mars there is a china teapot revolving about the sun in an elliptical orbit, nobody would be able to disprove my assertion provided I were careful to add that the teapot is too small to be revealed even by our most powerful telescopes.*

هو **ضرب من الخيال والوهم لا يقول به عاقل**.

فيمكن لنا أن نؤكد أنه لا يوجد مثل هذا الإبريق حول المريخ، فيكون المثال ساقطاً.

وبالنتيجة، فإن محاولاتهم كلّها تقوم على القول أنّ بإمكاننا إنكار وجود الله تعالى وجحده حتى لو لم نقم دليلاً على ذلك!!

وهذا الكلام في الموازين العلمية هو سفسطائية لا تستحق الوقوف عندها أكثر من ذلك كما بيّنا.

على أن استدلالات المؤمنين على وجود الإله منطقية وعقلية بخلاف أدلة الملحدين الوهميّة.. وسيأتي الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى.

مقال٣: الملحدون والفانوس السحري!

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

أدهم يحك الفانوس السحري!

يخرج المارد.. يطلب منه أدهم أن يعطيه (لا شيء)!

يسأله المارد متعجباً: ما هو اللا شيء؟

أدهم: (فضاء فارغ)!

المارد: شبيك لبيك..

فيعطي المارد أدهماً (نقطة من الفضاء الفارغ)!

يضعها أدهم في حديقته..

لكنها.. وصدفةً..

تبدأ بالتمدد، فطاقة الفضاء الفارغ ليست صفراً!

ويزداد التمدد ويتسارع وتتكون فيه أكوان هائلة تتضمن مليارات المجرات!

هذه ليست قصة للأطفال، ولا رواية من روايات الخيال العلمي!

هذا ما يسميه البعض اليوم بـ:العلم الحديث!

ويستندون إليه للتمسك بمذهب الإلحاد!

هل في هذا الكلام مبالغة؟!

دعونا نستعرض معاً آراء (العلماء الملحدين) لنعرف ذلك، ونرى جوابهم حول السؤال الشهير: **كيف وجد الكون؟**

---

(١) نشر هذا المقال في ٢٨ محرم ١٤٣٩ للهجرة.

أولاً: الكون انبثق من (لا شيء)!

يقول عالم الفيزياء والفلك لورانس كراوس ***Lawrence Krauss***:

> قاد بحثي العلمي لأكثر من عقود ثلاثة ماضية، ونتج عنه استنتاج مدهش أن معظم الطاقة في الكون تسكن شكلاً ما غامضاً، عصيّاً على الشرح، يتخلّل الآن كل الفضاء الفارغ.. **نتج عن هذا الاكتشاف دعم جديد رائع لفكرة أن كوننا انبثق -تحديداً- من لا شيء**[1]..

ثلاثة عقود من البحث (العلمي) أوصلت كراوس إلى الاعتقاد بأن الكون نشأ من (لا شيء)، لكن كراوس سيجيب إذا ما سئل:

١. كيف وجد الفضاء الفارغ أولاً؟

٢. وهل كانت القوانين موجودة حتى أمكن ان ينبثق هذا الكون من الفضاء ثانياً؟ ام انبثق دون الاستفادة من أي قانون؟

يقول كراوس:

> أريد أن أكون واضحاً بشأن نوع (اللا شيء) الذي أناقشه في هذه اللحظة، إنه أبسط نسخة من اللاشيء، إنه **الفضاء الفارغ في الأساس**، في الوقت الحاضر **سوف أفترض فضاءً** يوجد ب(لا شيء) داخله على الإطلاق، وأن **القوانين الفيزيائية موجودة أيضاً**..

---

(١) كون من لا شيء ص٢٢.

يمكن أن يتمتع الفضاء الفارغ بطاقة لاصفرية.. تخبرنا النسبية العامة أن الفضاء سيتمدد تصاعدياً.. فينمو الكون، **تحدث هذه الظاهرة دون الحاجة إلى حيلة سحرية أو تدخل إعجازي**[١].

لم يجب كراوس بعد حول (كيف وجد الفضاء الفارغ) وإن أقر بأن قوانين الفيزياء كانت موجودة دائماً.

ثم لا يجد بداً من الاعتراف بأن ما قاله هو (مكر)! فيقول:

سيكون من المكر طرح أن الفضاء الفارغ ذا الطاقة الذي يسوق التضخم هو لا شيء فعلاً.

يجب أن يفترض الشخص في هذه الصورة ان **الفضاء موجود** ويستطيع أن يخزن طاقة، وأن **يستخدم الشخص قوانين الفيزياء**.. فإذا توقفنا هنا فإنه يحق للشخص الزعم بأن **العلم الحديث بعيد جداً عن أن يتناول حقاً قضية كيف يمكن أن تحصل على (شيء ما) من (لا شيء)** فهذه هي الخطوة الأولى فحسب[٢].

نسير مع كراوس هنا لأنه عد ذلك خطوة أولى، ونتذكر قصة (أدهم والفانوس السحري)، فما ذكره حتى الآن هو عين ما حصل مع أدهم! حيث انبثق كون من نقطة (فضاء فارغ).

---

(١) كون من لا شيء ص١٩٢-١٩٣.

(٢) كون من لا شيء ص١٩٥.

ثانياً: الكون انبثق من نموذج مطور عن (اللا شيء)

يطور كراوس ***Krauss*** نظريته هنا، فبعد أن فرض (مكاناً فارغاً) في المرحلة الأولى، يفرض هنا إمكانية انبثاق (المكان والزمان) أيضاً من (لا شيء)!

يقول:

> لقد اكتشفنا أن كل العلامات تطرح **كوناً يمكن أن يكون بزغ من لا شيء أعمق** -بما فيه غياب الفضاء ذاته-[1]..

ويقول:

> فشرحت حينئذ كيف يمكن أن **يكون الفضاء والزمن في حد ذاتيهما منبثقين من لا مكان ولا زمن** وهو قريب جداً بالتأكيد للا شيء المطلق[2].

نعيد السؤال الثاني على كراوس ***Krauss***:

هل كانت هناك قوانين موجودة سبقت وجود هذا الكون من (لا شيء) في نسختك المحدثة هذه؟!

يقرّ كراوس ***Krauss*** بذلك.. فننقل الحديث إلى النقطة الثالثة والمهمة، لكنا نشير قبل ذلك إلى أن (هذه النظرية) من هذا (العالم الفيزيائي) قد عدّت عند رموز الملحدين اليوم (ضربة قاضية لنظرية الإيمان واللاهوت)!! قال ذلك ريتشارد

---

(١) كون من لا شيء ص٢٢٩.

(٢) كون من لا شيء ص٢٤٢.

دوكنز ***Richard Dawkins***[١].

ثالثاً: من أوجد قوانين الفيزياء التي انبثق الكون منها؟

نسير مع هؤلاء الملحدين في خطواتهم ولا نناقشهم علمياً في إمكان ما قالوه أو عدمه، ونترك لهم ميدان الفيزياء على فرض أنهم أهل الاختصاص به، لكي نصل معهم إلى **سؤال منطقي لا يمكن أن يتجاوزه أي عقل بشري** أو يعتبر نفسه غير معني بالإجابة عليه.

وهو: **من أوجد قوانين الفيزياء حتى انبثق الكون من (لا شيء) بحسب هؤلاء؟**

هل أوجدت نفسها مثلاً؟ أو أوجدها موجد؟

ونحن نعتقد أن الله تعالى أوجد الكون (لا من شيء) وليس من (لا شيء)، وتفصيل هذا في محله[٢].

نقرأ معاً إجابات هؤلاء (العلماء) حول من أوجد القوانين:

١. العشوائية!

يقول كراوس ***Krauss***:

إحدى الإجابات المعاصرة هي أن **القوانين يمكن أن تكون في حد ذاتها عشوائية**[٣]**!**

---

(١) كون من لا شيء ص٢٤٠.
(٢) راجع المقال الخامس في هذا الكتاب.
(٣) كون من لا شيء ص٢٤٢.

٢. العشوائية والاعتباطية!

يقول كراوس ***Krauss*** أيضاً:

> لو أن **قوانين الطبيعة في حد ذاتها عشوائية واعتباطية**، فلا مكان إذن ل(علة) إلزامية لكوننا.. **لا ضرورة لوجود آلية وكينونة لترسيخ قوانين الطبيعة بالكيفية التي نعرفها** والتي قد تكون أي شيء تقريباً[١]..

٣. قد لا يمكن الإجابة على ذلك!

يقول كراوس ***Krauss***:

> وللإنصاف، فإن هذا قد يثير السؤال المحتمل الذي قد لا يمكن الإجابة عنه: السؤال عن الذي ثبَّتَ القوانين التي تحكم هذا الخلق، لو أن هناك شيئاً من هذا القبيل[٢].

٤. إننا لم نفهم ذلك تماماً بعد!

يقول كراوس ***Krauss***:

> إننا **لم نفهم بعد تماماً كيف نشأت الحياة على كوكب الأرض**[٣].

٥. قوانين سرمدية! أو مجهولة!

---

(١) كون من لا شيء ص٢٢٣.
(٢) كون من لا شيء ص٢٢١.
(٣) كون من لا شيء ص١٨٩.

يقول كراوس ***Krauss***:

لعل القوانين سرمدية، أو لعلها خرجت إلى الوجود بسياق ما لا يزال مجهولاً، لكنها فيزيائية بحتة محتملة[١].

٦. بطريقة عفوية!

يقول كراوس ***Krauss***:

عليك بالتفكير في زوج الالكترون - البوزيترون[٢]، الذي **يظهر إلى الوجود بعفوية من الفضاء الفارغ**، بالقرب من نواة ذرة ما[٣]..

ويوافقه زميله في الإلحاد ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins*** فيقول:

.. لقد **استغرق التكوين العفوي للكون** جزءاً من الثانية في الانفجار العظيم[٤].

٧. ليس بمقدور أحد أن يفهم ذلك!

يقول ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins***:

---

(١) كون من لا شيء ص١٨٤.

(٢) يذكر العلماء أن الإلكترون *Electron* هو أحد الجسيمات التي تتكون منها الذرة، والبوزيترون *Positron* هو الجسيم المطابق للإلكترون في الصفات والخصائص الفيزيائية، ولكنه معاكس له بالشحنة الكهربائية، فيحمل الإلكترون الشحنة السالبة، والبوزيترون الشحنة الموجبة.

(٣) كون من لا شيء ص١٨٩.

(٤) حوارات سيدني ص٣٤.

ليس بمقدور أحد أن يفهم تفاصيل شيء كالانفجار العظيم[١].

هذه عدة إجابات من كتابين لعالمين من أبرز دعاة الإلحاد في عصرنا!

وقد ذكر الملحدون تفسيرات أخرى لا تقل طرافة عن هذه الإجابات، ونحن نكتفي بما ذكرناه..

ثم ننقل الكلام إلى ما يدحض هذا كله، ومن كلام كراوس ***Krauss*** نفسه، حيث يعترف في مورد آخر فيقول:

ولكن قوانين الخلق، أي قوانين الفيزياء، مقدَّرة، **من أين تأتي القوانين؟**

هناك احتمالان:

إما أن الله أو كائناً ما إلهياً ليس مقيّداً بالقوانين يعيش خارجها يحدّدها...

أو تنبثق عن آلية ما خارقة للطبيعة أقل قوة[٢].

ثم إنه ينفي الاحتمال الاول لعجزه عن فهم كيف يكون الله غير محتاج لأحد وكيف يكون علة العلل. وهذا ما سنرجع له لاحقا إن شاء الله.

ويسكت عن الاحتمال الثاني.

وكلا الاحتمالان فعلاً موصلان لله تعالى دون شك.. فيتبخر كل ما ذكره من تناقضات سابقة..

---

(١) وهم الإله ص١٤٨.

(٢) كون من لا شيء ص٢١٨.

إن أكثر الامور غرابة في دعاة الإلحاد هو **التناقض الحادّ في كل مفصل ومفردة من كلماتهم**، حتى يغيب عنهم أن في كلمات الأطفال جواباً على هذه التخيلات لا يمكن نقضه..

فما بين (العشوائية والاعتباطية) و(العفوية) و(السرمدية) و(المجهولة التي لا يمكن لأحد أن يفهمها) عجائب وغرائب..

إذ السرمدية تثبت الديمومة! والعشوائية تنفيها!

وكيف يقبل أحدهم أن تظهر وجودات إلى الوجود (بعفوية) ودون خلق خالق، ثم لا يقبل أن يُعَلِّم ابنه أن الألعاب تأتي الى الوجود بنفس الطريقة؟ أو أنها تنتقل من الدكان إلى بيته وحدها!

إن مثل هذه العقيدة تخالف فطرة الإنسان السوية التي تظهر مع كل طفل وكبير خالٍ من الشبهات..

وكيف لمن **يقرّ بأنه لا يفهم كيف نشأت الحياة أن ينفي وجود منشئ لها؟!**

وكيف لمن يحترم العلم والعلماء والمنطق وأهله أن **ينفي ما لم يحط به علماً؟!**

يقولون أنّ هناك انفجاراً عظيماً قد حصل، لكن ليس بمقدور أحد منا أن يفهم تفاصيل ذلك، رغم ذلك هذا لا ينفي الإنفجار العظيم!

من أوجد الانفجار العظيم؟ لا أحد أوجده! كيف ذلك؟ لا نعرف التفاصيل.

أما عندما نقول: **الله تعالى موجود، ولم يوجده أحد. يتوقف عقل الملحد عن الدوران!**

لماذا تقبل بأن يكون الانفجار قد وجد بلا موجد، وأن تكون الحياة الاولى

على وجه الارض قد وجدت بدون موجد، **ولا تقبل أن يكون الله تعالى موجوداً بالفعل بدون موجد؟**

لماذا تقر بأن الانفجار الكوني وهو **أمر حادث لا يحتاج إلى أن يوجده أحد؟**

وتستهزئ بالمؤمنين عندما يقولون أنّ الله تعالى قادر عليم حكيم أوجد الأشياء ولا يحتاج بنفسه إلى موجد؟ وهو ليس كالاشياء التي لم تكن ثم كانت.

هل يحق لك ان تستهزئ بالمؤمنين وتصفهم بالحمق او تصف اعتقادهم بالاعتقاد الاحمق وأنت تؤمن بما تسميه (الصدفة) وتنكر وجود الصانع في أعظم الاشياء فيما لا تقبل ذلك في امورك الحياتية؟

إن ما تقوله يؤدي بنا الى تصديق الاساطير والخزعبلات لا الى رفضها..

إن ديننا دين العلم والعقل.. ودين الإلحاد دين الفانوس السحري!

مقال٤: الإلحاد وبراهينه العمياء!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

يقرّ رموز الإلحاد اليوم أن علماء الكيمياء **لم ينجحوا حتى الآن في توليد أصلٍ للحياة في المختبر**.

أي أنهم لم يتمكنوا من إيجاد حياة (لا من شيء) ولو في ظروف خاصة ووفق القوانين الطبيعية المعروفة.

يقول أحد أبرز دعاتهم ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins*** حول توليد الحياة في المختبر:

> لا يزال من الممكن المحافظة على الرأي القائل بأن **احتمال حصولها كان ولا يزال ضئيلاً بشكل هائل، برغم أنها حصلت في وقت ما ولمرة واحدة**[٢]**!**

هذه المرة الواحدة التي يعنيها هي ظهور أول حياة على كوكب الأرض، والتي يقولون أنّ كل الكائنات الحية قد تكاثرت منها! بما في ذلك النباتات والحيوانات كافة!

وقد تقدم في الأبحاث السابقة أنهم يرون أنها حصلت بالصدفة أو بالعشوائية او بأمثال ذلك.

لكنهم حاولوا أن يصبغوا تلك الأقوال البائسة بصبغة العلم!

---

(١) نشر هذا المقال في آخر شهر محرم الحرام ١٤٣٩ للهجرة.

(٢) وهم الإله ص١٣٩.

وإحدى تلك المحاولات هي ما جمعوا به بين (الفرضية العلمية الأنثروبية)[١] والفرضيات الأحصائية مع ضربة الحظ، فمع العدد الهائل للكواكب التي يقدرها دوكنز ***Dawkins*** بمليار مليار كوكب، يفرض أن (ظهور الحياة التلقائي) هو **(ظاهرة بلا إحتمالية مدهشة، لدرجة أنها تظهر مرة في كل مليار كوكب)!** وهي نسبة ضئيلة جداً.. لكنها تنتج (احتمال أن توجد الحياة على مليار كوكب، ومنهم بالطبع كوكب الأرض).

ولو كان هناك احتمال أن توجد الحياة في هذا المليار، (فسيكون هناك حياة على أحد هذا المليار من الكواكب)![٢].

ماذا يريد هؤلاء (العلماء) أن يقولوا لنا؟!

لقد وجدوا أنفسهم أمام ثلاثة خيارات:

الخيار الأول: أن احتمال (ظهور الحياة تلقائياً) أمر مستحيل، وهو الحق، لكنهم أغفلوه تماماً.

الخيار الثاني: الالتزام بأن احتمال (ظهور الحياة تلقائياً) أي بلا خالق هو احتمال مرتفع.

---

(١) المبدأ الإنساني أو المبدأ الأنثروبي *Anthropic principle* عبارة عن أطروحة تقول بأن الكون حتميٌّ لأنّ معادلاته وقوانينه الطبيعية مناسبة لظهور أنواع حياة ذكية كالإنسان، بمعنى ان المكونات الاساسية للذرة لو كانت بغير صفاتها الموجودة لكان من غير الممكن نشأة حياة على الارض. وهذه الحتميّة (بغضّ النظر عن صحتها وعدمه) قادتهم إلى نفي وجود الإله بدلاً من أن تقودهم إلى إثبات وجوده كما ينبغي! حيث أن هذه القوانين الدقيقة لا يمكن أن توجد صدفة ولو مرة في كل مليار كوكب بل لا بدّ لها من موجد.

(٢) راجع وهم الإله ص١٣٩-١٤٠.

لكنهم لو قالوا ذلك لقلنا لهم: لو كان احتمالاً مرتفعاً فينبغي أن نرى بعض نماذجه على الأقل! وقد أقررتم أنكم لم تروا ذلك ولم يره أحد، ولم تتمكنوا من إنجاز ذلك في المختبر ولو مرة واحدة طول التاريخ. فيسقط هذا الخيار.

الخيار الثالث: وهو ما لجؤوا إليه، من القول بأنه احتمال (ضئيل جداً) لنوافقهم على هذه الدعوى فيكملوا نظريتهم البائسة!

فإنا نعتقد أنه ليس هناك أي احتمال ولو واحد من مئات المليارات أن ينشأ ظهور تلقائي للحياة بلا صانع، إذ أنه يعني وجود (مسبَّبٍ) (بلا سبب)، **وقانون (السببية) هو قانون (بديهي) لا شك فيه ولا شبهة تعتريه**، فيكون كلامهم من باب **الشبهة في مقابل البديهة. ويكون مخالفاً لكل الأسس المنطقية** لمختلف العلوم.

وكان عليهم على الأقل أن يأتوا بدليل أو شاهد على ما ذهبوا إليه، لتنخرم قاعدتنا العقلية والتي تقول أنّ لكل سببٍ مسبباً.

إن نظريتهم تقول أنّ **القواعد العقلية قد تخرق بنسبة قليلة**، فيمكن أن يوجد شيء بلا موجد ولو بنسبة ضئيلة جداً تصل إلى ١ بالمليار!

لكنهم غفلوا عن أن **نقيض الموجبة الكلية سالبة جزئية، ونقيض السالبة الكلية موجبة جزئية، فتنتقض القاعدة الكلية بالكامل لو تمت مخالفتها في مورد واحد** ولا يبقى لها معنى أصلاً[1]..

(١) تؤكد القواعد المنطقية أنّ حكم العقل لا يختلف ولا يتخلّف، فيحكم العقل مثلاً باستحالة اجتماع المتناقضين: **النقيضان لا يجتمعان**، وهذا الحكم ينطبق في كل الموارد ولا مجال للقول بتخلّفه في أيّ مورد، فإذا صحّ اجتماع المتناقضين في موردٍ ما، بطلت القاعدة العقلية، وبطلانها غير ممكن فلا يمكن الحكم باجتماعهما، وهكذا في قانون السببيّة الذي تقدّم ذكره.

يقول ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins*** مجدداً:

بإمكاننا معالجة فكرة أصل الحياة بافتراض **عدد هائل من الفرص الكوكبية**، وبمجرد أن **نحصل على ضربة الحظ، والمبدأ الانثروبي يضمن لنا حصولها بشكل أكيد**، يبدأ الانتخاب الطبيعي في العمل[1]..

ولو أردنا التنزل عن كل ما سبق، ومجاراة هؤلاء في نظريتهم، فإنا نقول لهم **هلموا مع بعض النماذج التي تنتج المستحيلات وفق مبانيكم**..

النموذج الأول:

يعيش على وجه البسيطة اليوم حوالي ٧ مليار شخص بحسب أشهر التقديرات السكانية.

ولنفرض مسألة في غاية البعد وهي أن يظهر (تلقائياً) (الجني صاحب الفانوس السحري) على واحد من الناس.. بنسبة ١ الى مليار! وهي نفس النسبة الضعيفة التي افترضها دوكنز لوجود حياة (تلقائياً).

إن هذا يعني أن (الجني صاحب الفانوس) **سيظهر لسبعة أشخاص موجودين على وجه الأرض هذه الساعة!** ثم على سبعة آخرين بعد ساعة أخرى! وهكذا يطوف الجني الأرض ويظهر أمام الناس ملبياً لهم طلباتهم الخيالية! لأن لدينا (عدداً هائلاً من الفرص البشرية) بدل الـ(الفرص الكوكبية)، **وضربة الحظ يضمنها لنا المبدأ الانثروبي كما يقول**..

(١) وهم الإله ص١٤٢.

النموذج الثاني:

يقدّر العلماء اليوم عدد الحشرات على الأرض ب ١٠ كوينتيليون (أي ١٠ مليار المليار) حشرة، وهو **عشرة أضعاف تقدير** دوكنز ***Dawkins*** **لعدد الكواكب** المعروفة، وبالتالي فلو فرضنا أن **واحدة من كل مليار حشرة ستتحول مباشرة الى ديناصور اليوم**، وفق هذا الاحتمال الضعيف وعدد الحشرات الهائل ينبغي أن **نحصل اليوم على ديناصورات متعددة بما فيها الديناصورات الطائرة!**

النموذج الثالث:

ان احتمال أن **تتطور السيارة إلى طائرة (تلقائياً) وبلا تدخل بشري**، وعن طريقة (ضربة الحظ) هو احتمال موهوم بلا شك.. ولنفرضه (كما يفرض دوكنز) احتمالاً ضئيلاً جداً بنسبة ١ الى مليار..

ثم ننظر في عدد السيارات في العالم فنرى أن التقديرات تشير إلى أنها تجاوزت المليار سيارة منذ سنوات..

إذاً هذا يعني أن هناك **سيارة في العالم قد تحولت فعلاً إلى طائرة**، ولنأمل أن يكون ذلك قد حصل هذا اليوم!

النموذج الرابع والأخير:

وهو الأقرب لكلام دوكينز:

يذكر العلماء ان مساحة الارض تقرب من ٥١٠ مليون كيلومتر مربع، وهو يعادل ٥١٠ الالاف مليار متر مكعب! وهو رقم كبير جداً.

وبما أن الارض تتمتع بالصفات والخصائص المناسبة لتكون حياة جديدة، فإننا **نحتمل أن تتكون حياة جديدة بلا موجد في كل متر من أمتار الكرة الارضية**

احتمالاً ضئيلاً جداً بنسبة ١ الى المليار كما يفرض دوكنز **وذلك عن طريق الحظ!**

فيلزم أن نحصل على ٥١٠ الاف (حياة جديدة) في ٥١٠ الاف موضع على وجه الأرض، وذلك كله عن (طريق الحظ)، والمراد بالحياة الجديدة هي **انبثاق حياة جديدة لم تكن موجودة كما انبثقت الحياة الجديدة أول مرة في الكون** بحسب دوكنز.

بل نحن نقبل ب٥١٠ مرات فقط.. بل نريد من دوكينز أن يقبل وجود الحياة في ٥ مواضع جديدة فقط هذا العام!

لكن دوكنز يقول أنّ الحياة قد انبثقت مرة واحدة فقط!! فلم نتمكن من الحصول على أي حياة جديدة في أي متر من أصل ٥١٠ الاف مليار متر؟!

فأين ذهب قانونه السابق؟ ولماذا لم تنبثق بنفس النسبة الضئيلة كما انبثقت في المرة الاولى بدون خالق؟!

إن هذا يكشف عن **ضعف (القواعد العلمية) عند هؤلاء الملحدين ضعفاً هائلاً**..

ومكمن الخلل فيه ليس قوة الاحتمال او ضعفه، **بل مكمن الخلل فيه هو أنه يتحدث عن شيء مستحيل ويفرض إمكان تحققه بنسبة ضئيلة** على أمل أن يصدقه الناس ويقولون له: سلمنا ان هذا يمكن ان يحصل بنسبة ضئيلة.

والحال أن (المستحيلات) لا يمكن أن تحصل بأي نسبة من النسب، **فهل يمكن ان يجتمع النقيضان مثلاً بنسبة ضئيلة جداً؟**

ثم إن **بعض الملحدين الآخرين قد تنبّه لضعف هذا المبنى** فأقرّ بذلك.. فهذا البروفسور الفيزيائي الملحد فيكتور ستينغر ***Victor Stenger*** يقول:

مبدأ الأنثروبية الضعيف بسيط جدًا وبدائي، نحن مصمّمون

بشكلٍ دقيقٍ بالنسبة للكوكب الذي نعيش عليه، أمّا المبادىء الأنثروبية القوية، فهي غير منطقيةٍ وليس لديها أيّ دعمٍ ماديٍّ[١].

لكن ستينغر لما أسقط النظرية السابقة لزملائه في الإلحاد، وقع فيما هو أسوأ منها وأشد منها ضعفاً!

لم يبق لديه أي طريق إلا إنكار (السببية) و(العلية)!

بمعنى أنه **صار مقتنعاً بأن الأشياء يمكن أن تحدث بلا أسباب!** وأعطى لذلك صبغة علمية فقال:

ليس كل حدثٍ له مسبب، مثل الظواهر الكمومية، القفزات الكمومية[٢]، العبورالإلكتروني الذري والتحلل النووي، كلها تحدث من غير مسبّب[٣].

وهذا كما تقدّم **مخالف لبديهيات العقل**، وللأسس المنطقية لمختلف العلوم..

إنه **مذهب الإلحاد.. وبراهينه العمياء!!**

(١) حوار مع مجلة الملحدين العرب العدد ١٤.

(٢) الكم في الفيزياء هو مصطلح فيزيائي يستخدم لوصف أصغر كمّية يمكن تقسيم بعض الصفات الطبيعية إليها، وميكانيكا الكم مثلاً تحاول فهم كيفية عمل الطبيعة على المستوى الذري وما تحت الذري، والفقزات الكمومية أيضاً فيما دون الذرة كانتقال الالكترون من مدارٍ لآخر، وهكذا.

(٣) حوار مع مجلة الملحدين العرب العدد ١٤.

مقال٥: عليٌّ ينير طريق الملحدين

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

بعدما تبين فيما سبق **إقرار الملحدين بالعجز عن نفي وجود الله تعالى**، وبعدما تاهوا في معرفة مصدر الخلق **وأقروا بالجهل إقراراً تاماً**، كان أفضل ما **يرفع الحيرة والجهل بعض كلمات خزان علم الله تعالى** وتراجمة وحيه، الذين جعلهم الله تعالى حججه في التبليغ ليثيروا للناس (دفائن العقول)، فيستضيئوا بنور العلم، ويلجؤوا إلى ركن وثيق، فتغمرهم الهداية ويبتعدوا عن سبل الضلال..

وَمَن أولى بذلك من أمير المؤمنين عليه السلام..

هذه كلمة قالها علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه في التوحيد:

وكلُّ صانِعِ شيءٍ فمِن شَيءٍ صَنَع، والله لا مِن شيء صنع ما خلق[٢]..

أما الفقرة الأولى فمُسَلَّمة عند كل البشر، فلا يتمكن أحد من صنع شيء إلا إن وُجدت عنده المواد ليصنع منها ما يشاء.

وثاني الفقرات محط الرحال.. ما خلقه الله تعالى.. فإنه خلق الأشياء (لا من شيء)، في حين قال الملحدون أن الكون وجد (من لا شيء):

كوننا انبثق -تحديداً- من لا شيء[٣]..

وبين (لا من شيء) و(من لا شيء) فرق هائل..

فالأولى تعني فيما تعني أنه خلق الأشياء **من غير شيء سابق في الوجود**، أي

---

(١) نشر هذا المقال في الثاني من صفر ١٤٣٩ للهجرة.

(٢) الكافي ج١ ص١٣٥.

(٣) لورانس كراوس *Lawrence Krauss* في: كون من لا شيء ص٢٢.

لم يكن هناك شيء فخلق الله تعالى الأشياء.

أما الثانية وهي قولهم (من لا شيء) فإن **في العبارة نفسها تهافتاً واضحاً**، إذ تثبت (وجود شيء) هو (لا شيء)، **فيثبت وجود الشيء وعدمه في آن واحد!** وهو التناقض بديهي البطلان.

وقد وضّح الشيخ الكليني رحمه الله ذلك بأوضح بيان في تعليقه على خطبة أمير المؤمنين التي تحسن مراجعتها بقوله:

> وهذه الخطبة **من مشهورات خطبه** عليه السلام حتى لقد ابتذلها العامة، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبرها وفهم ما فيها، فلو اجتمع ألسنة الجن والإنس ليس فيها لسان نبيّ على أن يبينوا التوحيد بمثل ما أتى به بأبي وأمي ما قدروا عليه..
> ألا ترون إلى قوله: لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان.
> فنفى بقوله (لا من شيء كان) معنى الحدوث..
> فدفع عليه السلام بقوله (لا من شيء خلق ما كان) جميع حجج الثنوية وشبههم .. فقولهم (من شيء) خطأ، وقولهم (من لا شيء) مناقضة وإحالة لأن (من) (توجب شيئاً) و(لا شيء) (تنفيه) فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحها فقال (لا من شيء خلق ما كان) فنفى (من) إذ كانت توجب شيئاً ونفى (الشيء) إذ كان كل شيء مخلوقاً محدَثا لا من أصل[1]..

وبيّنها الميرداماد كذلك فقال:

---

(١) الكافي ج١ ص١٣٦.

فالصحيح ان الله أوجد الاشياء (لا من شيء) لا أنه أوجدها (من لا شيء) أو (من شيء).

فاذا قيل: هل الخالق خلق الاشياء (من شيء) أو (من لا شيء)؟ **لم يستحق الجواب بل كان الحق سلب طرفي السؤال جميعاً**، واختيار قسم آخر ثالث هو أنه خلقها (لا من شيء).

ثم يجب أن يعلم أنه لا يعني بالعدم واللاشيء الا الانتفاء المحض، أي أنه **لا شيء هناك أصلا لا أن هناك شيئا ما يعبر عنه بالانتفاء وباللاشيء**، فاذن قولهم «من لا شيء» قول **متهافت متناقض**، وانما الصحيح (لا من شيء)[١].

لقد أكد الأئمة عليهم السلام مراراً على هذا المعنى وبيّنوه بوضوح وأرشدوا العقول له لتهتدي من مكنونات علومهم إن خفي عنها ذلك:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: **والله خالق الأشياء لا من شيء كان**[٢].

وعن أبي الحسن الثاني عليه السلام: **أن كل صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء**[٣].

لماذا إذاً وقع الملحدون فيما وقعوا فيه؟!

نسير معهم خطوة بخطوة لنرى كيف ترفع كلمات المعصومين عليهم السلام ما اشتبه عليهم شبهة تتلو أخرى وتخرجهم من التناقض.. فكلماتهم عليهم السلام ترشد العقول

(١) التعليقة على أصول الكافي ص٣٣٠.
(٢) الكافي ج١ ص١١٤.
(٣) الكافي ج١ ص١٢٠.

وتنير لها السبيل..

١. بداية الخلق السهلة!

يسلّم الملحدون عموماً وعلماؤهم على وجه الخصوص بأن هذا الكون بديعٌ، وأن نظامه معقد.. وقد كان من الضروري أن يسلك بهم هذا الاعتراف إلى طريق التسليم بأن للكون صانعاً عظيماً جداً، إذ **لو كانت المخلوقات على هذا المنتهى من الإبداع فإنها كلها تدل على عظمة هذا الصانع**.

وعظمة الصانع **تقتضي التسليم بالعجز عن الإحاطة به بعد العجز عن الإحاطة بمصنوعاته ومخلوقاته**.. لكن هؤلاء (سبق وقرروا أن لا يعتقدوا بوجوده) طالما أنهم لم يعرفوا كنه حقيقته.. فقالوا أنّه **لا بد من شرح بداية (سهلة وبسيطة) يمكن فهمها!! وإلا فهو الإنكار!**

يقول أحد علمائهم:

> في الحقيقة إن كل العلماء يكافحون ويناضلون من أجل **شرح كيف يمكن أن نحصل على النظام البديع والمُعقد للكون**، لكنه **ناتج عن بدايات سهلة وبسيطة**، وبالتالي تكون سهلة على الفهم أيضاً[1]..

إذاً كيف تفسرون نشوء الكون أيها (العلماء)؟ يقولون بنظرية الانفجار الكوني و(التكوين العفوي)!

ثم إن سألتهم عن تفاصيلها أقروا بالجهل مجدداً، فإن النظرية (عصية على

(١) ريتشارد دوكنز في حوارات سيدني ص٣٥-٣٦.

الفهم كذلك)!

وترى كل واحد منهم يتهرب من النتيجة التي يوصله إليها التسليم بأن هذا الإبداع الكوني لا بد له من مُبدِع، لأن التسليم بهذا المبدع سيلزم منه التسليم بعدم إمكان الإحاطة بهذا المبدِع، وهم قد التزموا بأنهم يريدون حصراً (بداية تكون سهلة) حيث قال دوكنز:

> إذا كنت تتحدث عن الله وتعتبره ذكاءً خلاقاً إذن فأنت **تتحدث عن شيء بالغ التعقيد وليس هناك احتمال لوجوده، وهو شيء يتطلب تفسيراً بذاته**[1]..

إذاً هربوا من التسليم بالله **للوصول إلى شيء قابل للفهم**، ثم تاهت بهم السبل فرجعوا إلى التمسك بما أقروا عدم إمكان فهم البداية السهلة له.. **إنه التناقض بعينه، ولا يرفعه إلا ما ذكره الأئمة** عليهم السلام.

٢. الإله العصي على التفسير

في مقال مشترك للدكتور ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins*** (عالم الأحياء) وزميله في الإلحاد جيري كوين ***Jerry Coyne*** (أستاذ بيولوجيا أمريكي في جامعة شيكاغو) يقولان:

> وأي **نظرة فاحصة ودقيقة ستفترض بأن إلهاً ما قد خلق البكتيريا السوطية** (على ما فيها من تعقيد ودقة متناهية) **سيكون هو بذاته إلهاً بالغ التعقيد**.. وبهذا **سيتعين علينا إيجاد تفسير لهذا التعقيد**

(١) حوارات سيدني ص٣٥-٣٦.

الذي عليه هذا الإله المفترض.

ولن يكون حلاً أبداً لهذا التلازم المنطقي أن نأخذ بما يحتج به اللاهوتيون من أن هذا الإله أو (التصميم الذكي) إنما هو عصي على الخضوع للتفسيرات العلمية[١].

لكن زميلهما في الإلحاد أيضاً: بروفيسور الفيزياء (فيكتور ستينغر ***Victor Stenger***) يتناقض معهما تماماً إذ يقول:

الأنظمة المعقدة لا تحتاج قواعد معقدة كي تتطور من اصول بسيطة، إذ يمكنها فعل ذلك بقواعد بسيطة ودون فيزياء جديدة..

ليخلص إلى القول:

بما أن كل ما نحتاجه هو قواعد بسيطة، **فالمطلوب على الأغلب صانع بسيط ذو ذكاء محدود**[٢].

فانظر كيف أوصلهم الإلحاد إلى **طلب صانع بسيط ذو ذكاء محدود تارة، وإلى صانع معقّد تارة أخرى**..

إنه **الغوص في الجهل والاستغراق في الأوهام فيما خص الخالق**..

ثم أنظر كيف يستبعد هؤلاء فكرة وجود الإله الخالق الكامل بحجة أنه عصي على الخضوع للتفسيرات العلمية، في حين يقبلون بـ(التكوين العفوي للكون) وخلال (جزء من الثانية في الانفجار العظيم) كما يقولون.

---

(١) حوارات سيدني ص٢٢١.

(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٦٩-٧٠.

فليرنا هؤلاء **أي تفسير علمي يمكن أن يبينوا لنظريتهم العفوية**، وفي أي **مختبر ثبت عندهم (تكون عفوي) ناشئ من بساطة ليست عصية على الفهم!**

إنهم بأنفسهم يصرحون بأنه:

ليس بمقدور أحد أن يفهم تفاصيل شيء كالانفجار العظيم[١].

وهو التناقض مجدداً.. ولا يرتفع إلا وفق كلمات المعصومين عليهم السلام.

٣. التناقض ثالثاً: كيف وجد الخالق؟

يواجه الملحدون مشكلة في استيعاب كيف وجد الخالق؟

يقول دوكنز:

ومرة أخرى **المشكلة التي يثيرها المصمم نفسه هي أكبر: كيف وجد أساساً؟**[٢]

إنه يسلم بأن احتمال وجود طائرة معقدة لوحدها (دون صانع) احتمال ضعيف جداً، ولكنه يقول:

لو وجدت طائرة معقدة فإن احتمال وجود موجد لها معقد أكثر منها أيضاً يكون احتمالاً أكثر ضعفاً!!

وقد وقع هنا في مغالطة واضحة البطلان.. فإن وجود طائرة معقدة لا يكون دليلاً على عدم وجود صانع، **بل يكون دليلاً على وجوده**. بغض النظر عن معرفتنا

(١) وهم الإله ص١٤٨.
(٢) وهم الإله ص١٢١.

بكيفية وجوده.

فإنا ندرك بالبداهة أنا لو وجدنا طائرة مصنوعة بتقنية متطورة جداً، لأدركنا أن هناك من صنعها سواء عرفنا من هو أم لا، وسواء عرفنا من صنعه أم لا.

وسواء كان هو مصنوعاً من صانع آخر، أم لم يكن مصنوعاً.

فنفس وجود الكون المعقد لا يكون دليلاً على عدم وجود الصانع، بل يكون دليلاً على وجوده، وعلى استغنائه عن الموجد.

بيان ذلك:

أنه إن كان احتمال تكوُّن الطائرة بدون مُكَوِّن **ممتنعاً**، فهذا لا يعني إلا شيئا واحداً **أنّ لها صانعاً**.

وهذا الصانع **إما أن نفرض أن له صانعاً أو أنه ليس له صانع**.

فعلى الفرض الثاني تمّ المطلوب وهو ثبوت صانع لا صانع له.

وعلى الفرض الأوّل.. نبحث عن صانعه إلى أن ينتهي الأمر إلى (أول صانع موجود): وحينها فإن **(أول صانع موجود) لا موجد له بلا إشكال لأنا فرضناه الصانع الأول، وهذا هو ربنا..**

إذ القول بأنه (أول صانع) وأن (له صانعاً) تناقض بيّن، فلا بد أن يكون (موجوداً دون أن يوجده أحد).

فإنا لما فرضنا أنه أول موجود، يمتنع أن يكون له موجد.

نعم يثبت بهذا أنه موجود غير مسبوق بالعدم، غير محتاج إلى أحد..

وبهذا يتضح أن الخالق تعالى على الفرضين هو خالق كل شيء غير مخلوق ولا

مسبوق بالعدم.. وهو إله المسلمين.

بعبارة أخرى:

أنّه إن كان لا بد (بحسب التسلسل المنطقي) أن نؤمن بأن أول مخلوق قد أوجده خالق، فلا معنى لإنكار لا بدية الإيمان بحجة أنه سيولد لنا سؤالاً ثانياً، إنما يجب ان نؤمن بذلك ثم نبحث عن جواب السؤال الثاني.

وبعبارة ثالثة:

إن كانت نتيجة المعادلة ١ + ١ = ٢ ولم نعرف تفاصيل الرقم ٢ فلا يعني هذا إنكار كون النتيجة ٢ بل لا بد من الإيمان بها ثم البحث عن تفاصيل الرقم٢.

وبعد التسليم بأنه لا بد من خالق للكون كما لا بد من صانع للطائرة، ينتقل الكلام لصفات هذا الخالق..

ولا يمكن رفع إشكال التناقض إلا بكون الإله خالقاً غير مخلوق، غير مسبوق بالعدم، خالق الأشياء لا من شيء، وهو إلهنا وربنا الله تبارك وتعالى أحسن الخالقين.

ليس على الملحدين إلا التأمل في كلمات المعصومين عليهم السلام.. ولا سبيل لنقلها كلها ههنا وهي معروفة مشهورة.. **وكلها ترشد العقل إلى سبيله..**

لقد صرحوا عليهم السلام بذلك.. فعن الرضا عليه السلام: **بِصُنْعِ اللهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَبِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ**[1].

ما أجمل هذه العبائر:

(١) توحيد الصدوق ٣٥.

إِنَّ **الشُّكَّاكَ جَهِلُوا الأَسْبَابَ وَالمعَانِيَ فِي الخِلْقَة**.. فَخَرَجُوا بِقَصْرِ عُلُومِهِمْ إِلَى الجُحُودِ وَبِضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعُنُودِ **حَتَّى أَنْكَرُوا خَلْقَ الأَشْيَاءِ وَادَّعَوْا أَنَّ تَكَوُّنَهَا بِالْإِهْمَالِ لَا صَنْعَةَ فِيهَا وَلَا تَقْدِيرَ** وَلَا حِكْمَةَ مِنْ مُدَبِّرٍ وَلَا صَانِع...

فَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ وَغَيِّهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ بِـ**مَنْزِلَةِ عُمْيَانٍ دَخَلُوا دَاراً قَدْ بُنِيَتْ أَتْقَنَ بِنَاءٍ وَأَحْسَنَهُ** وَفُرِشَتْ بِأَحْسَنِ الفُرُشِ وَأَفْخَرِه.. وَوُضِعَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ عَلَى صَوَابٍ مِنَ التَّقْدِيرِ وَحِكْمَةٍ مِنَ التَّدْبِيرِ فَجَعَلُوا يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا يَمِيناً وَشِمَالًا، وَيَطُوفُونَ بُيُوتَهَا إِدْبَاراً وَإِقْبَالاً، **مَحْجُوبَةً أَبْصَارُهُمْ عَنْهَا**، لَا يُبْصِرُونَ بُنْيَةَ الدَّارِ وَمَا أُعِدَّ فِيهَا، **وَرُبَّمَا عَثَرَ بَعْضُهُمْ بِالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وُضِعَ مَوْضِعُهُ وَأُعِدَّ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَهُوَ جَاهِلٌ لِلْمَعْنَى فِيهِ وَلِمَا أُعِدَّ وَلِمَاذَا جُعِلَ كَذَلِكَ**، فَتَذَمَّرَ وَتَسَخَّطَ وَذَمَّ الدَّارَ وَبَانِيَهَا.

فَهَذِهِ حَالُ هَذَا الصِّنْفِ فِي إِنْكَارِهِمْ مَا أَنْكَرُوا مِنْ أَمْرِ الخِلْقَةِ وَثَبَاتِ الصَّنْعَة[1]..

ومسك الختام.. عن أمير المؤمنين عليه السلام: **وَلَا تَسْتَطِيعُ عُقُولُ الْمُتَفَكِّرِينَ جَحْدَهُ** لِأَنَّ مَنْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِطْرَتَهُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَهُوَ الصَّانِعُ لَهُنَّ فَلَا مَدْفَعَ لِقُدْرَتِه[2].

صدق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.. فإنهم وإن جحدوا الخالق بألسنتهم، إلا أنه ليس للعقل أن يجحده تعالى، فكل ما في السماوات والأرض يرشد إليه.. تبارك وتعالى أحسن الخالقين..

(١) توحيد المفضل ص٤٤ وما بعدها.
(٢) توحيد الصدوق ص٣٢.

مقال٦: (الإلحاد الجديد) في مدرسة الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الإلحاد الجديد..

إنه محاولة حديثة بلغة عصرية لإحياء (الإلحاد البائد) بعدما **استشعر أبناؤه أن نيرانهم قد خبت، ودعوتهم قد وهنت**.. فانطلقوا عبر مقولة (خير وسيلة للدفاع هي الهجوم).. لكنهم لم يوفقوا في ذلك ايضاً..

هذه مناظرة جرت قبل حوالي ١٢٥٠ سنة من اليوم.. ننقلها (بالمحاكاة) إلى عصرنا الحاضر، فنرى أن (الملحدين الجدد) لا يزيدون عن أسلافهم شيئاً في العلم أو التعقّل.. **وإن زادوا عنهم شيئاً فبالعناد والمكابرة**..

المناظرة جرت بين الإمام السادس من أئمة العترة الطاهرة، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، مع أحد (الزنادقة) لتُختتم بإيمان الزنديق بعدما تهاوت إشكالات الإلحاد وسلّم في نتيجة المناظرة بما قاله الصادق عليه السلام..

نستخلص كلمات بعض هؤلاء الملحدين المعاصرين لنضعها جواباً في هذه المناظرة كي يتبين الخيط الابيض من الاسود..

١. الظن عجز!

يروي الشيخ الكليني في كتاب الكافي الشريف فيقول:

قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام لِلزِّنْدِيقِ: أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً؟

قَالَ: نَعَمْ.

---

(١) نشر هذا المقال في الثامن من صفر ١٤٣٩ للهجرة.

قَالَ: فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا؟

قَالَ: لَا أَدْرِي، **إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ.**

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: **فَالظَّنُّ عَجْزٌ لِمَا لَا تَسْتَيْقِنُ**[1].

القاعدة الأولى:

الظن عجزٌ مقابلٌ لليقين. فماذا عند الملحدين؟

يتحفنا علماء العصر الحديث اليوم بكثير من النظريات العلمية التي **تصيب تارة وتخطئ أخرى**، وتبتني تارة على (حقائق دامغة) ومسلّمات لا تقبل الشك تساهم في زيادة الوعي عند الناس أو في تطور البشر في ما يحتاجونه في حياتهم.. وتبتني أخرى على (ظنون أو أوهام) تثبت صحتها مرة وسقمها أخرى..

يتحدث عالما الرياضيات والفيزياء الملحدين (ستيفن هوكنغ ***Stephen Hawking***) و(ليوناردو ملودينو ***Leonard Mlodinow***)، والأول هو أحد أبرز علماء الفيزياء النظرية على مستوى العالم، يتحدثان كما مجموعة كبيرة من العلماء عن النظرية العلمية ***M*** والتي يتوقع الكثير منهم أن تكشف أبعاداً غير مسبوقة في مجالات الفيزياء، فيقولان:

حسب النظرية (إم) فإن الكون الذي نعيش فيه ليس هو الكون الوحيد.

---

(١) الكافي ج١ ص٧٣.

وبدلاً من ذلك، فإنها تتنبأ بأن هناك **عدداً كبيراً من الأكوان التي خُلقت من العدم، ولا يتطلّب خلقها تدخلاً من إله أو من كائن فوق طبيعي.**

وبالأحرى، فإن تلك الأكوان المتعددة **تنشأ بشكل طبيعي من القانون الفيزيائي. إنها تنبؤات العلم**[١].

وبغض النظر عن عقيدتنا الدينية في وجود أكوان أخرى من عدمها، نسأل هذين (العالمين) سؤال الإمام الصادق عليه السلام: **ما يدريكم بتلك العوالم؟**

وأنتم تقولون:

ما زال البشر يحاولون للآن حلّ شفرة طبيعة النظرية (إم)، لكن هذا قد لن يكون ممكناً[٢].

إنكم إذاً لم تتمكنوا من حل شفرة النظرية التي تتحدثون عنها، بل تحتملون أن يكون حلها غير ممكن أبداً! ثم تعتمدون عليها في إثبات (وجود أكوان) غير هذا الكون، وتضيفون لذلك أن هذه الأكوان قد (خلقت من العدم) دون خالق!

إنه كلامكم مع عدم وجود إثبات في أيديكم **يدورُ بين الوهم أو الظن.. (والظن عجزٌ لما لا تستيقن)**.. فثبت **عجزكم عن إثبات ما تزعمونه** من تكون الأكوان بلا خالق.

يقول تعالى في كتابه: ﴿ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ

(١) التصميم العظيم ص١٨.
(٢) التصميم العظيم ص١٤٤.

أَنْفُسِهِم﴾[١].

فإذا سئل هؤلاء كما سئل الزنديق: **هل شهدتم خلق السماوات والأرض؟**

يقولون: كلا.

فنقول: **فكيف تعلمون أنها خلقت من العدم؟ وكيف تعلمون أنه ليس لها خالق؟**

إن (الظن عجز) **وأنتم عاجزون.**

٢. هل يجحد العاقل ما لا يعرف؟!

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله: أَ فَصَعِدْتَ السَّمَاءَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: أَ فَتَدْرِي مَا فِيهَا؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: عَجَباً لَكَ! لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ وَلَمْ تَنْزِلِ الْأَرْضَ وَلَمْ تَصْعَدِ السَّمَاءَ، وَلَمْ تَجُزْ هُنَاكَ فَتَعْرِفَ مَا خَلْفَهُنَّ، وَأَنْتَ جَاحِدٌ بِمَا فِيهِنَّ؟!

وَ هَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ؟!

قَالَ الزِّنْدِيقُ: **مَا كَلَّمَنِي بِهَذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ**[٢].

مجدداً مع الملحدَين الشهيرين هوكنغ وملودينو..

---

(١) الكهف ٥١.

(٢) الكافي ج١ ص٧٤.

لنوجّه لهما سؤالاً مختلفاً هذه المرة..

نقول: **هل يمكنكما أن تعرفا ما هي نتيجة تفاعل ثلاث (جُسَيمات) فيما بينها؟**

يجيبان بصريح العبارة:

نحن لا نستطيع حتّى أن نحلّ بالضبط معادلات ثلاثة جسيماتٍ أو أكثر تتفاعل فيما بينها[١].

فنسألهم مجدداً عن تفاصيل الجسيم فيقولان:

إن كائناً فضائياً في حجم الإنسان سيحتوي على حوالي ألف ترليون ترليون جُسيم حتى لو كان إنساناً آليا، **فسيكون من المستحيل حلّ المعادلات والتنبؤ بما سيفعله**[٢].

إذا كان هؤلاء (العلماء) عاجزين عن إدراك نتيجة التفاعلات بين جسيماتٍ يتضمن جسم الإنسان منها ألف ترليون ترليون جسيم! فمن أين لهم أن يدركوا أن ليس لهذه (الجُسَيمات) محرّك؟ وأنه ليس لها خالق؟

وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟

إلا أن يكون غير عاقل!

أو أنهم: ﴿جَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم﴾[٣]!

ثم كيف لهم أن ينكروا الخلق إن لم يعرفوا المصلحة فيه؟

---

(١) التصميم العظيم ص٢١٤.

(٢) التصميم العظيم ص٢١٤.

(٣) النمل ١٤.

فهل ساغَ لمن جهلَ الحكمة في شيءٍ يراه أمامه أن ينكر أن له خالقاً فيجحده وهو مقرٌّ بعجزه عن العلم والمعرفة؟

أيكون كلامهم علمياً وهم مقرون بالعجز؟! وكلامنا غير علميّ إن قلنا أنّ الحكيم لا يفعل إلا لِحِكْمَة؟

إنها **القاعدة الذهبية الثانية: هل يجحد العاقل ما لا يعرف؟!**

٣. لا حجة للجاهل!

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: فَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَكٍّ، فَلَعَلَّهُ هُوَ وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ؟

فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: وَلَعَلَّ ذَلِكَ!

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: أَيُّهَا الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ، وَلَا حُجَّةَ لِلْجَاهِلِ[1].

هنا نترك هذين الملحدين ونوجه السؤال الى الملحد الشهير الآخر بروفيسور الفيزياء والفلك فيكتور ستينغر ***Victor Stenger*** الذي ينفي في كتابه عن الله تعالى أن يكون الله خالق الكون[2]..

فنقول له:

هل (النظريات العلمية) التي تعتمدون عليها وتزعمون أنها أوصلتكم لعدم وجود الله هي **نظريات قطعية؟** فهل تزعمون أنكم **(عالمون حقاً) بلا احتمال الخطأ والاشتباه؟**

---

(١) الكافي ج١ ص٧٤.

(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٩٧.

يجيب ستينغر:

علينا هنا الاقرار والاعتراف بأن **النماذج والنظريات العلمية** مهما كانت (جيدة الإثبات) **تظل إبداعات بشرية وعرضة للتغيير على يد التطورات المستقبلية**[١].

ستينغر هذا نفسه يدعي عدم وجود الله تعالى! في نفس الوقت الذي يقرّ فيه بالجهل و(بالفراغات الموجودة في المعرفة العلمية)[٢].

نسأله مجدداً:

هل نزل بك الموت فعلمت أن ليس هناك حياة بعده؟ وليس هناك عقاب أو ثواب؟

يجيب بالنفي سريعاً.

لكنه يعود فيقول:

الاحتمال العقلاني للحياة بعد الموت أقرب للصفر. ولكن **يمكن للعلم** على الأقل أن يؤكد لنا أن **الكثيرين الذين اختاروا عبادة الإله الخطأ لن يتعذبوا للأبد**.. سيرقدون بسلام[٣].

القاعدة الذهبية الثالثة تأتي سريعاً: (لا حجة للجاهل) و(ليس لمن لا يعلم حجةٌ على من يعلم).

---

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٤١.

(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٤.

(٣) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٤٢.

فأي علم حديث يمكنه له أن يؤكد أن فلاناً لن يتعذب بعد الموت؟ وأي اختبار علمي أجراه هؤلاء أكد لهم عدم وجود حياة بعد الموت؟

وأي قانون فيزيائي يؤكد ذلك؟

لقد أطاحت هذه القاعدة بستينغر وزملائه: لا حجة للجاهل!

٤. الله يسيّر الكون؟

قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ **تَفَهَّمْ عَنِّي فَإِنَّا لَا نَشُكُّ فِي الله أَبَداً.**

أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ **يَلِجَانِ فَلَا يَشْتَبِهَانِ؟** وَيَرْجِعَانِ **قَدِ اضْطُرَّا** لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلَّا مَكَانُهُمَا؟

فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ عَلَى أَنْ يَذْهَبَا فَلِمَ يَرْجِعَانِ؟ وَإِنْ كَانَا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهَاراً وَالنَّهَارُ لَيْلًا؟

اضْطُرَّا وَالله يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ إِلَى دَوَامِهِمَا، وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا أَحْكَمُ مِنْهُمَا وَأَكْبَرُ.

فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: صَدَقْتَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: .. الْقَوْمُ مُضْطَرُّونَ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ.

لِمَ السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ وَالْأَرْضُ مَوْضُوعَةٌ؟ لِمَ لَا يَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ؟ لِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ طِبَاقِهَا وَلَا يَتَمَاسَكَانِ وَلَا يَتَمَاسَكُ مَنْ عَلَيْهَا؟

قَالَ الزِّنْدِيقُ: أَمْسَكَهُمَا الله رَبُّهُمَا وَسَيِّدُهُمَا.

قَالَ: فَآمَنَ الزِّنْدِيقُ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام[1].

بعد المقدمات الثلاثة:

١. الظن عجزٌ.

٢. وليس للعاقل أن يجحد ما لا يعرف.

٣. لا حجة للجاهل على العالم.

تأتي **النتيجة الذهبية**:

الله تعالى خالق الكون ومُسيِّرُه.

كيف ذلك؟

الشمس والقمر لا يشتبهان.. الليل لا يصير نهاراً.. السماء لا تسقط على الارض.. كلُّ ما يجري في الكون يجري **وفق نظام تكويني دقيق لا يُعقل أن لا يكون له مدبِّر**، والملحدون مقرّون بالعجز عن إدراك هذا وغيره.. كما تقدّم.. **ولا بدَّ أن يكون الصانع والمدبِّرُ حكيماً عالماً حياً غنياً**... وليس سوى الله تعالى.

نضيف لهؤلاء الملحدين زميلاً (لا أدرياً) لنستعين بكلماته في تأكيد هذه المعاني، إنه (برايان غرين ***Brian Greene***) أستاذ الفيزياء والرياضيات في جامعتي كولومبيا وكورنيل، يقول في كتابه الذي حاز على جائزة آفاينتيس ***Aventis*** للكتب العلمية من بين ١١٧ كتاباً علمياً..

(١) انتهى مورد الشاهد من الحديث الشريف، في الكافي ج١ ص٧٣.

أولاً: ليس لدينا تفسير!

يقول برايان غرين ***Brian Greene***:

لا يوجد أي تفسير لماذا يتكون عالمنا من هذه الجسيمات وبهذه الكتلة وشحنات القوى بالتحديد[١].

والحديث عن العديد من الجسيمات بما فيها الكواركات ***Quarks*** والتاو ***Tau*** والميون ***Muon*** وغير ذلك..

ومثله عالم فيزياء الجيسيمات ايزيدور اسحق رابي ***Isidor Isaac Rabi*** الحاصل على جائزة نوبل، الذي يتساءل عمّن أمر بإيجاد هذه الجسيمة؟![٢].

ثانياً: كله يوصل لله تعالى!

يقول غرين ***Greene***:

ربما علينا أن نتقبل أنه بعد الوصول لأعمق المستويات الممكنة التي يقدمها العلم، **لا زالت هناك مع ذلك أمور في الكون من دون تفسير.**

وربما علينا أن نتقبل أن هناك سمات معينة للكون هي على ما هي عليه بالصدفة، أو نتيجة حادث، أو هي اختبار إلهي[٣].

---

(١) الكون الأنيق ص٢٦.

(٢) الكون الأنيق ص٢٢.

(٣) الكون الأنيق ص٤١٩.

الصدفة والحادث تم استبعادهما سابقاً، فلا يبق إلا الله تعالى.

ثالثاً: أمور لا يمكن تخيُّلها!

يقول غرين ***Greene***:

تم اكتشاف بعض أهم أسرار الطبيعة خلال المائة عام المنصرمة... تلك الجواهر التفسيرية قد **فتحت آفاقاً على عالم كنا نتخيل أننا نعرفه.**

إلا أننا لم نتمكن حتى من تخيّل عظمته[1].

ما صار الآن (أسراراً) من أسرار الطبيعة كشفه العلم كان في يومٍ ما (فوق الخيال)، فلو ساغ نفي ما لا نعرف ولا نتمكن من تخيُّل عظمته لكان لزاماً علينا إبطال هذه العلوم التي بين أيدينا كلها.

لكن العاقل (لا يجحد ما لا يعرف)، وليس لأحد منهم أن يجحد الله تعالى وإن عجز عن (تخيُّل عظمته)!

رابعاً: نيوتن والتأثير في المخلوقات.

ينقل براين ***Brian*** عن نيوتن ***Newton*** قوله:

الأمر الذي **لا يمكن تصوره هو أن تقوم مادة جامدة غير حية من دون وساطة من أي شيء آخر ليس مادياً بالتأثير في مادة أخرى** من

(١) الكون الأنيق ص٤٢٠.

دون اتصال متبادل..

الأمر المنافي للعقل بالنسبة لي لدرجة أنني واثق ألا أحد له كامل القوة الفكرية في الامور الفلسفية سيقع في هذا، ولا بد للجاذبية من عامل مسبب يؤثر باستمرار وفقا لقوانين معينة، لكن **سواء كان هذا العامل مادياً أو غير مادي، فقد تركت هذا لعناية قرائي**[1].

يضع نيوتن ***Newton*** يده على الجرح ليقول أنه لا بدّ من قانون (السببية) و(العليّة) فلا بُدَّ للجاذبية من (عامل مسبّب).. وإذا ما ترك نيوتن ***Newton*** للقرّاء تحديد المؤثر في كل متأثرٍ نجد أن من الكفاية بمكان الاستعانة بأعرابيٍّ قال يوماً عبارة خَلُدَت في التاريخ حين نطق قائلاً:

إِنَّ الْبَعْرَةَ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَآثَارَ الْقَدَمِ تَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ.

فَهَيْكَلٌ عُلْوِيٌّ بِهَذِهِ اللَّطَافَةِ، وَمَرْكَزٌ سُفْلِيٌّ بِهَذِهِ الْكَثَافَةِ، أَ مَا يَدُلَّانِ عَلَى الصَّانِعِ الْخَبِيرِ؟!

(١) الكون الأنيق ص٧٤.

مقال٧: لماذا ظل الملحد منبوذاً؟

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَليمٌ خَبيرٌ﴾[٢].

لكنّ هذا التعارف (انقطع) مع أكثر المتجاهرين بجحود الله تعالى: الملحدون..

لقد حوّل هؤلاء أنفسهم إلى أعضاء **غير مرغوب بهم في المجتمع**، حتى تكوّنت لديهم **عقدة النقص ودفعت بهم إلى رفع الصوت عالياً مصطنعين المظلومية متظاهرين بالوداعة والمسالمة**..

فأن تكون شخصاً (منبوذاً) في المجتمع لهو **أمرٌ عصيبٌ** إن أدخلتَ نفسك فيه وكابَرتَ حتى لم تعد تعرف طريقاً للخروج منه..

لكن.. هل الملحد (منبوذ) فعلاً؟

ما الذي نسمعه إذاً عن تنامي ظاهرة الإلحاد؟! كيف يجتمع هذان الأمران؟!

رغم أن بعض الدراسات **تحاول الترويج لتنامي ظاهرة الإلحاد**، إلا أن دراسات أخرى تنفي ذلك تماماً وبشدة..

يتحدث الديموغرافي اريك كوفمان ***Eric Kaufman*** كما ينقل عنه موقع ***CNN*** الانجليزي في مقال عن الإلحاد منشور بتاريخ ٩ نوفمبر ٢٠٠٦ عن **تزايد**

---

(١) نشر هذا المقال في العاشر من صفر ١٤٣٩ للهجرة.

(٢) الحجرات ١٣.

سكان العالم المتدينين، لأن الأجيال الشابة في العالم النامي ترفض العلمانية.

ويتوقع ضعف الحالة العلمانية في منتصف القرن الحادي والعشرين في اوروبا واميركا بشكل كبير..

ومثله تشير التقارير الواردة من الدول العربية كليبيا نموذجاً.. فيتضمن تقرير ***CNN*** بتاريخ ٦ يناير ٢٠١٦ قولهم:

أن تكون ملحدا في ليبيا، يعني أن تعيش حياتا محفوفة بالمخاطر.. فأنت في مجتمع لا يقبل أبدا بوجود ملحدين داخله..

لكن.. **ما هي نظرة الملحدين أنفسهم؟**

نذهب مباشرة إلى واحد من رموزهم البارز: فيكتور ستينغر ***Victor Stenger***: بروفيسور الفيزياء والفلك، الذي لطالما تهجم على المعتقدات الدينية وأساء لها بطرق مختلفة، يقول في كتابه عن الله:

آراء الملحدين، أحرار الفكر، والإنسانيين، **نادراً ما تستشار وكثيراً ما تستهجن**. والمعنى هو أن **الملحدين** والإنسانيين هم بشكل ما **أعضاء غير مرغوب بهم في المجتمع. أشخاص لن ترغب بدعوتهم إلى منزلك**[1].

إذاً يحسّ هؤلاء (الملحدون) بالعزلة فعلاً.. **والعزلة الفكرية** في الواقع قد تكون **أشدّ بكثير من العزلة الاجتماعية.**

لكن هل تتحمل المجتمعات الدينية مسؤولية عزلة الملحدين؟ أم أن

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٨٧-١٨٨.

الملحدون أنفسهم هم السبب في ذلك؟

إن الملحد قد **أوقع نفسه في عصفٍ فكريٍّ هائل بإنكاره** (ربه) و(نفسه التي بين جنبيه)، فجعل من نفسه **كائناً غريباً في المجتمع**، ما أدى به شيئاً فشيئاً إلى العزلة التي يتحدثون عنها.

إن الإنسان إجتماعيٌّ بطبعه يميل للتعامل مع سائر الخلق على أن **لا يخرجوا عن حدود معينة من أنماط التفكير السوي**، ولذا يَحذَر العقلاءُ من (المجنون) و(الأحمق) لأن **الخلل الفكري الذي يصيبهما يجعل موارد الضرر المتأتية منهما على مستوى عالٍ من الخطورة**..

وقد ألحق كثيرٌ من الناس (الملحدين) بهاتين الفئتين، وما ذلك إلا لما لمسوه من (عجائب وغرائب) تكاد لا تُصَدّق.. لا يؤمن معها من تصرفاتٍ أشد غرابة منهم..

فإن مما ينكره الملحدون أموراً عُرف عنهم إنكارها، كإنكارهم للخالق والمعاد والثواب والعقاب..

وأموراً لم تشتهر عنهم كثيراً نشير لثلاثة منها:

١. إنكارهم لوجود (الروح) و(النفس) و(الإرادة)!

وتشبيههم الإنسان بالآلات! وهذا من عجائبهم!

يقول عالمي الرياضيات والفيزياء الملحدين (ستيفن هوكنغ ***Stephen Hawking***) و(ليوناردو ملودينو ***Leonard Mlodinow***):

يبدو أننا لسنا أكثر من آلات بيولوجية، وأن الإرادة الحُرَّة مُجَرَّد

وهم[١].

إذاً ليس في الإنسان شيء وراء المادة، فهو (آلة بيولوجية) تماماً ك(الروبوت) الذي صنعه الإنسان!

وليس للإنسان (إرادة حرّة).. إن ذلك وهم وخيال!

أما زميلهم في الإلحاد فيكتور ستينغر ***Victor Stenger*** (بروفيسور الفيزياء والفلك) فيحاول الإطاحة ببديهية وجود (الروح) في الإنسان: يقول في كتابه عن الله:

> ترجح وفرة من الأدلة التجريبية اليوم أن **العقل هو في الواقع مجرد ظاهرة سطحية لهذه المادة!** فالمادة وحدها تبدو قادرة على إجراء كل الفعاليات التي كانت تنسب تقليدياً إلى الروح. **والبيانات لا تطالب بأي عنصر روحي.**
>
> إن نتيجة أننا (نحن) **مجرد أجساد وأدمغة** مركبة من ذرات ولا شيء أكثر ربما يكون جديداً جداً، مقلقاً جداً مع التصورات الشائعة ليكون متضمنا في المعارف العامة.
>
> ولكن لو كنا بالفعل نملك نفساً خالداً أو نفساً مادية ذات صفات خاصة لا يمكن أن توجد في المادة الجامدة، فيجدر بنا توقع أن نجد أدلة عليها[٢].

ليعود ويخلص إلى النتيجة التالية:

---

(١) التصميم العظيم ص٤٤.

(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٨٦.

بعد أكثر من قرن من المحاولات الفاشلة لإيجاد أدلة علمية مقنعة على **النفس الخالدة غير المادية** التي يبحث عنها المعظم، **يبدو غير محتمل جداً أنها -والإله الذي يمدنا بهبة كهذه- موجودة!**[١].

ويقول:

العمليات العقلية البشرية والحيوانية **تبدو لنا كما يتوقع لو لم تكن هناك روح أو مركب غير مادي آخر**[٢].

ويقول:

لا يزال الدالاي لاما يعتقد **بثنائية العقل والجسد التي لا يدعمها العلم!**[٣].

ويقول:

الحقيقة الظاهرة اليوم أن البشر هم بالفعل مكائن بيولوجية هي نتيجة للصدفة[٤].

فلا نفس ولا روح ولا إرادة.. الإنسان آلة تماماً! وفوق ذلك.. بالصدفة!

لقد خالف في ذلك (الوجدان).. ومهما يكن تعريف العلماء للعلم **فإن الوجدان من أقوى الأدلة عند عامة الناس**، فإن سألت شخصاً ما الدليل أنك

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٠٤.
(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٠٥.
(٣) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٣٩.
(٤) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٢٦.

موجود؟ يقول لك الوجدان!

وقد أخرج هؤلاء الوجدان عن الاعتبار..

كأنهم يقولون للإنسان.. **إن صرت شفافاً لا تُرى مثلاً ولم يتمكن العلم من إثبات وجودك بطريق ماديّ فلا يصح لك ان تعتقد أنك موجود، بل عليك حينها أن تنكر وجودك أصلاً!**

فكيف لا (يتنفر) الناس من الملحدين وحال (العلماء) منهم كما ترى؟!

٢. إنكارهم لوجود الأنبياء السابقين!

ودعواهم أن هذه شخصيات خيالية لا واقع لها..

ففضلاً عن إنكار أب البشر آدم وأمهم حواء.. وهو ما عرف عن جماعة منهم، ترقوا في ذلك لينكروا وجود إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء!

يقول فيكتور ستينغر ***Victor Stenger***:

> باختصار فإن **قصص موسى وخلفائه المباشرين هي أساطير بالتأكيد،** ففي ميدان العلم غياب الأدلة التي تتطلبها فرضية ما يشكل تخطئة لهذه الفرضية.
>
> بعد موسى **وإبراهيم** (وهو على الأرجح **شخصية أسطورية أيضاً**)..[1]

وينقل عن وليام ديفر ***William Dever***:

---

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٨٢.

.. **لم يظهر على الاطلاق أي دليل على موسى**، أو بالفعل على وجود بني إسرائيل في مصر، وعلى الخروج والتيه في البرية[١]..

ويقول:

في اجتماع حديث في روما، أعلن عالم الآثار نيلز بيتر لمتشي أن البيانات الآثارية قد **أكدت تماماً أن مملكة داود وسليمان لم توجد أبداً**[٢].

وقد أنكر الكثير من الملحدين وجود عيسى أصلاً، من (برونو باور ***Bruno Bauer***) وغيره كما في قصة الحضارة، إلى كتب معاصرة ككتاب (يسوع في التاريخ والأسطورة) وغير ذلك من كتب الملحدين.

٣. التحول من لا شيء إلى شيء دون فاعل أمر طبيعي!

يصل الامر عند هؤلاء الملحدين إلى التفوّه بما **يجعل المؤمنين يشككون في القدرات العقلية لهؤلاء الملحدين** بشكل واضح..

يقول ستينغر ***Stenger*** مثلاً:

هذا التحول من لا شيء إلى شيء هو أمر طبيعي ولا يتطلب أي فاعل![٣].

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٨١.
(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٨٣.
(٣) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٢٩.

ليصل إلى ما هو أغرب وأعجب فيقول:

باختصار: فالحال الطبيعية للأشياء هي شيء بدلا من لا شيء.
والكون الفارغ يتطلب تدخلا فوق طبيعي، وليس الكون المليء!
وبالعمل المستمر وحده لفاعل خارج الكون مثل الله يمكن لحالة من العدم أن تدوم!
وحقيقة أن لدينا شيئاً هي بالضبط ما نتوقعه لو لم يكن الله موجوداً!
(١).

لقد جعل الليل نهاراً والنهار ليلاً! **إذ صار عنده وجود الاشياء في الكون لا يتطلب وجود الخالق لهذه الاشياء! وعدم وجودها يتطلب خالقاً!**

انه **انهيار كامل في المنظومة العقلية والعلمية..**

كأننا نقول:

لو كان ستينغر موجوداً فلن يكون له كتاب.. لكن لو كان ستينغر غير موجود وغير حقيقي فإننا سنرى كتابه!

وهكذا تصبح كل الأفعال متوقفة على عدم وجود الفاعل لها!

إذاً من الطبيعي جداً أن يتحول هؤلاء الملحدون المنكرون لأوضح الحقائق إلى **حالات غير سوية في المجتمع، يتم نبذهم شيئاً فشيئاً.. فبعد إنكارهم لله تعالى وللآخرة أنكروا النفس والروح والإرادة والأنبياء والقواعد العقلية والمنطقية!!**

وكيف يثق الإنسان بموضوعيتهم وبالنتائج التي يتوصلون إليها وهم

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٣٠.

يصفون أغلب الباحثين بقولهم:

معظم الباحثين يبدؤون على أمل القيام باكتشاف ذي أهمية **سيعود عليهم بالمال والشهرة**. وكثيراً ما يكونون متقاعسين بالطبع عن تقبل النتائج السلبية التي تتصف بها في العادة معظم البحوث. قد يتجه الباحثون لهذا الى تنقيب البيانات مستمرين في البحث **إلى أن يقنعوا أنفسهم بأنهم قد وجدوا ما كانوا يبحثون عنه**[1].

إن ما يتحدث عنه ستينغر هو عين ما أصاب الملحدين.. فقد تقدّمت في مقالات سابقة تصريحاتهم بأنهم (يفضلون) كوناً لا إله فيه، **فلَووا عنق العلم وأقنعوا أنفسهم بأنهم وجدوا الإلحاد في العلم**، (متقاعسين بالطبع) كما يقول ستينغر عن تقبل النتائج التي يؤدي إليها كل علم وهو وجود خالق لكل مخلوق..

فضلاً عن أنه يمكن أن يكون هؤلاء أنفسهم ممن يسعى وراء (المال والشهرة) كما يقول، وأنّهم يروجون لكتبهم بقوة في الشرق والغرب من أجل الفائدة المادية او الشهرة وحب الظهور..

وما زاد الطين بلّة هو سوء الخلق الشديد عند هؤلاء.. وهبوط مستوى الخطاب عندهم بشكل هائل..

يقول مُنَظِّرُهم الأول في عصرنا ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins***:

أنا لا أهاجم نوع معين من الآلهة، أنا أهاجم الله، كل الآلهة، أي نوع من الآلهة، كل ما هو خارق وماورائي أينما وحيثما وجد أو

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٣٠.

سيوجد[١].

ثم ينقل سخريتهم اللاذعة من الأديان مؤيداً زميله في الإلحاد عالم الأعصاب الأمريكي سام هاريس ***Sam Harris*** فيقول:

لم يكن سام هاريس مبالغاً في سخريته عندما كتب في نهاية الإيمان:
.. **لا أريد أن أقول بأن المتدينين مجانين، لكن معتقداتهم هي الجنون بعينه**[٢].

فماذا يُتوقع ممن أنكر الخالق والوجدان والمسلمات التاريخية والقواعد العقلية والمنطقية؟

أيتوقع الملحدون من المجتمعات البشرية شيئاً سوى أن تجعلهم في أدنى قائمة (المنبوذين) اجتماعياً بعد أن نبذوا أنفسهم فكرياً؟!

(١) وهم الإله ص٣٨.
(٢) وهم الإله ص٩٠.

مقال٨: الملحد عدو نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ**[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: **مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ** وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ **فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ** وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ.. **لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ**[٣]..

لقد **عشق الملحدُ الإلحادَ فأمرَض قلبه**، لذا تراه في كلّ وادٍ يهيم.. يتخبط خبط عشواء، ولا يهتدي للحق سبيلاً..

فتارةً يعترف أن قوانين الكون (دقيقة وعظيمة) وتارة أخرى ينفي أن يكون لها (صانع عظيم)!

فيما يلي جملة من كلمات رموز الإلحاد التي تبيّن **مقدار التناقض**، الذي أوصلهم إليه **حُبُّ الإلحاد فأعشى بصر بعضهم وأعمى عيونهم** حتى لم تعد تنفعهم المواعظ..

أولاً: دقة نظام الكون بلا خالق!

هذه كلمات جملة من الملحدين كـ(ستيفن هوكنغ ***Stephen Hawking***) و(ليوناردو ملودينو ***Leonard Mlodinow***) في كتابهما: التصميم العظيم،

---

(١) نشر هذا المقال في الخامس والعشرين من صفر ١٤٣٩ للهجرة.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام ج١ ص٥٩.

(٣) نهج البلاغة (للصبحي صالح) ص١٦٠.

والفيزيائي (فيكتور ستينغر ***Victor Stenger***) في كتابه: الله.. الفرضية الفاشلة! واللا أدري (برايان غرين ***Brian Greene***) في كتابه: الكون الأنيق:

١. **يمكن فهم الكون لأنه محكوم بقوانين علمية**[١]..

٢. إن نظامنا الشمسي لديه خصائص أخرى (محظوظة) **لم يكن من الممكن أن تتطور اشكال الحياة المعقدة من دونها**[٢]..

٣. **إذا كانت كتلة شمسنا أقل أو أكثر من ٢٠ ٪، فإن الارض ستكون أبرد من المريخ أو أسخن من الزهرة**[٣].

٤. معظم الثوابت الأساسية في نظرياتنا تبدو **مضبوطة بدقة، بمعنى أنها لو عُدِّلت بمقادير بسيطة فإن الكون سيختلف كيفياً، وسيكون في حالات عديدة غير ملائم لتطور الحياة**[٤].

٥. **تُكَوِّنُ قوانين الطبيعة نظاماً منضبطاً بدقة فائقة**... وإن لم توجد تلك السلسلة من التوافقات المذهلة لتفاصيل القانون الفيزيائي الدقيقة، فسيبدو **أنه لن يظهر أبداً لا البشر ولا أشكال الحياة المماثلة إلى الوجود**[٥].

---

(١) التصميم العظيم ص١٠٩.
(٢) التصميم العظيم ص١٨٠.
(٣) التصميم العظيم ص١٨٣.
(٤) التصميم العظيم ص١٩٢.
(٥) التصميم العظيم ص١٩٤.

٦. من الواضح أن **المعاملات الفيزيائية لبيئتنا لو كانت مختلفة قليلاً لما كانت الحياة كما نعرفها على الأرض قد تطورت**[١].

٧. **سيصبح العالم مكاناً مختلفاً جداً إذا تغيرت خواص المادة وجسيمات القوى ولو تغيراً طفيفاً**[٢].

هذه ٧ نماذج من كلماتٍ كثيرةٍ لهؤلاء يؤكدون فيها على أن تغييراً طفيفاً في نظام الكون الأساسي يؤثر على أشكال الحياة كلها ولن يكون هناك مجال لوجود البشر ولا أي حياة في الوجود!

ويقر بهذا أغلب علماء العصر بمن فيهم الملحدون واللا أدريون الآخرون..

وهذا ما يستوجب على العقلاء التفكير ملياً، إذ من الطبيعي أن تؤدي هذه الأقوال إلى الاعتقاد بوجود خالق عظيم لهذا الكون الدقيق..

ولا يجد العاقل بداً من الاعتقاد بالإله بعدما يرى هذه **الدقة المتناهية** في نفس الإنسان وفي الكون الفسيح..

وإذا ما احتججت بذلك على الملحدين فلا يمكنهم إنكار أن كل الدلائل تشير إلى الخالق، فيصرح هوكنغ ***Hawking*** وملودينو ***Mlodinow*** بقولهما:

يبدو أن **كوننا وقوانينه كليهما مصَّممان على يد خياط ماهر لدعم وجودنا**[٣]..

---

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٤١.

(٢) الكون الأنيق ص٢٨.

(٣) التصميم العظيم ص١٩٥.

لكنهما سرعان ما **يبادرا إلى نقض هذه الكلمات الذهبية التي أقرا بها**، ونفي ذلك عند الحديث عن أن الله هو الخالق فيقولان:

ليست تلك هي إجابة العلم الحديث[١]!

وإن سألتهما لماذا؟

سينفيا أن يكون الكون مصمماً ليلائم الجنس البشري!

ويقولا:

إن كوننا (قد) يكون واحداً من عدّة أكوان، لكل منها قوانين مختلفة[٢]!

وبالتالي يرجع الأمر (بحسبهم) للصدفة لا للمصمم الماهر! رغم كل هذه الدقة العجيبة.

إذاً قد جعلا **احتمال** وجود أكوان أخرى لها قوانينها المختلفة سبباً لإنكار دليل الخلق!!

والحال أنه على فرض وجود الاكوان المختلفة التي تتعدد قوانينها، فينبغي ان يكون ذلك **مؤيدا لأدلة وجود الله تعالى، فإنه يدل على عظمة الله تعالى حيث خلق أكواناً مختلفة لكل منها قانونها الخاص الذي يتكيف معها**.

إن كلامهم يشبه قول الطفل: الجمع بين الرقمين ١+١=٢ هو حساب صحيح إن لم يوجد في الدنيا أي حساب غيره!

---

(١) التصميم العظيم ص١٩٧.

(٢) التصميم العظيم ص١٩٧.

لكن إن وجد جمعٌ آخر مثل ٢+٢=٤ فإن الجمع الأول ١+١=٢ سيكون خاطئاً!!

إن احتمال تعدد الأكوان أو الجزم بوجودها لا يكون نافياً لكل الدقة الموجودة في الكون، فإن كانت الدقة مُسَلَّمة في كونٍ واحد لن يكون بإمكاننا نفيها إن أثبتنا أكواناً أخرى! وستكون هي طريقاً آخر لإثبات الخالق.

مجدداً.. **السبب في هذا التهافت.. أن الملحد عدو نفسه!**

ثانياً: من أوجد قوانين الكون؟

بعد أن يسلم الملحد بأن خلق الكون لا بدّ أن يكون وفق قوانين خاصة، كما يقول الملحدان هوكينغ وملودينو:

كيف يتم خلق مجمل الكون من لا شيء؟ لهذا يجب أن يكون هناك قانون كقانون الجاذبية[1]..

تكاد تتصور أنهما قد اهتديا إلى مَن سنّ هذه القوانين، إلا أنهما يفاجئانك بالقول أن:

بداية الكون كانت محكومة بقوانين العلم، وأن الكون ليس بحاجة للانطلاق بمعرفة إله ما[2]!!..

ولا ينقضي تعجبك إن سألتهم كيف ينبغي ان تكون البداية محكومة للقوانين

(١) التصميم العظيم ص٢١٥.
(٢) التصميم العظيم ص١٦٥.

ولا تكون القوانين بحاجة إلى إله؟!

يزداد تمسّكهم بالتناقض في قولهم أنّ (مجمل الكون) يمكنه أن يظهر من (لا شيء) لكن (النجوم) وسائر الأجسام لا يمكنها ذلك؟!

أي منطق وعلم يمكن استفادته من هذه الكلمات؟!

ففي كتابهما:

أجسامٌ مثل النجوم أو الثقوب السوداء لا تستطيع الظهور وحسب من لا شيء. لكنّ مجمل الكون يمكنه ذلك...

لا توجد قيود على خلق مجمل الكون. لأن هناك قانوناً مثل الجاذبية، فإن **الكون يمكنه أن يخلق نفسه من لا شيء...**

ليس من الضروري أن نستحضر إلهاً لإشعال فتيل الخلق ولضبط استمرار الكون[1].

ولا يتمكن هؤلاء من تفسير ظهور الكون الذي نعيش فيه بسبب وجود قانون الجاذبية، وعدم ظهور أكوان جديدة تنطلق من الكرة الأرضية كل يوم طالما أن قانون الجاذبية لا يزال محفوظاً على الأرض..

يحاول بروفيسور الفيزياء والفلك فيكتور ستينغر ***Victor Stenger*** التخلص من هذا الإشكال بطريقة أكثر غرابة.. يقول:

فمن أين أتت قوانين الفيزياء؟ ... **لا يوجد سبب يمنع قوانين**

(١) التصميم العظيم ص٢١٦.

الفيزياء من أن تنشأ من داخل الكون نفسه![1].

مغالاة ستينغر في الإلحاد أوقعته في التناقض الواضح:

١. إذا كان الكون بحاجة إلى قوانين الفيزياء ليوجد.

٢. وقوانين الفيزياء ستنشأ من داخل الكون نفسه.

فتوقف الكون على وجود القوانين، وتوقفت القوانين على وجود الكون!

وتَوَقُّفُ الشيء على نفسه مستحيل عند كافة أهل المنطق والعقل.. لكن من يدري.. لعل ستينغر ***Stenger*** يلتزم بامكان حصول المستحيل كما بإمكان اجتماع النقيضين!

الدجاجة تنتظر البيضة.. والبيضة تنتظر الدجاجة! والبيضة والدجاجة موجودتان!

فلا بدّ من وجود الدجاجة أولاً، أو البيضة أولاً، فإن كان وجود الدجاجة متوقفٌ على وجود البيضة، ووجود البيضة متوقف على وجود الدجاجة، ولم يوجد أحدهما قبل الآخر، لم نكن لنرى دجاجاً ولا بيضاً أبداً، ولكننا لما رأينا الدجاج والبيض علمنا أن أحدهما قد تقدّم في الوجود على الآخر.

وفي حالتنا كذلك، وجود الكون متوقف على وجود القوانين، ووجود القوانين متوقف على وجود الكون، ولم يوجد أحدهما قبل الآخر، النتيجة أننا لن نرى كوناً أبداً، ولكننا نعيش في الكون فعلاً، فواحدة من المقدمتين باطلة، ولا بدّ من موجد لهذه القوانين وإلا لم تكن القوانين قد وجدت ولا الكون. وليس الخالق

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٢٥.

إلا ربّنا عزّ وجل.

يحاول ستينغر ***Stenger*** الدفاع عن فكرته بالقول:

إن أكثر قوانين الفيزياء أساسية **ليست تقييدات لسلوك المادة**. بل **هي تقييدات للطريقة التي قد يفسر بها الفيزيائيون هذا السلوك**[1].

فيخلط بين (القانون) وبين (تفسير القانون)، ليزعم أن (أكثر) القوانين هي تفسيرات للظواهر الموجودة وليست قوانين فعلاً.

لكن..

إذا كانت قوانين الفيزياء هي مجرد (تفسير لسلوك المادة)، فإننا ننقل الكلام لـ(سلوك المادة) نفسه وفق نظام معين، وهذا هو القانون الذي كان لا بدّ منه بحسب هؤلاء العلماء.

فالجاذبية مثلاً تفسر سقوط الاجسام، ولكن كلامنا ليس عن (تفسير السقوط) إنما **الكلام في السقوط نفسه**، فالتفسير لا يكون سبباً في السقوط إنما يكون شرحاً وتوضيحاً للجاذبية.

لكن من الذي أوجد (حقيقة الجاذبية) و(سلوك المادة) في سقوطها؟

هناك حقيقة وهي أن الجاذبية موجودة والاجسام تسقط الى الارض. وهذه لا تتغير مهما كان (القانون الفيزيائي).

فمن أوجد هذه الجاذبية؟

فإذا نقلنا الكلام الى (سلوكيات المادة) نفسها، وليُسَمِّها ستينغر بما شاء، إذ

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٢٦.

عليه أن يخبرنا كيف تخرج من الكون الذي توقف وجوده عليها؟!

وكيف للإنفجار الكوني أن يولد الكون دون أن يكون محكوماً لـ(سلوكيات المادة) التي تولد منها الانفجار؟

كأنه يقول بعبارة أخرى: قانون الجمع يفسر لنا كيف يكون ١+١=٢ وهذا القانون بشري.

فنقول له: نعم (تفسير) كيفية كون ١+١=٢ أمر بشري، لكن نفس كون النتيجة ٢ هي **أمر تكويني واقعي خارجي، لا دخل لنا به**، إنما قد يكون لنا دخل في تفسيره.

فيرجع الأمر **لا محالة إلى الدور وإلى توقف الشيء على نفسه**.. ولا نجد من الملحدين إلا (تلاعباً بالألفاظ) لا يسمن ولا يغني من جوع.

يحاول ستينغر الدفاع عن كلماته بما يخالف فيه سائر علماء الفيزياء..

فيقول:

> نحن عادة ما نفكر في قوانين الفيزياء كجزء من تركيب الكون. ولكني أجادل هنا بأن **قوانين الحفظ الثلاثة الكبرى ليست جزءاً من أي تركيب. بل إنها تنبع من انعدام التركيب ذاته في أول لحظة.** لا شك أن **هذه الفكرة صعبة الفهم**. وآرائي في هذا الموضوع بالذات **لا يتقبلها إجماع الفيزيائيين**[1]..

كيف يريد الملحدون الذين يتمسكون بما يسمونه (العلم الحديث) منا أن

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص١٢٧.

نترك (يقيننا) بديننا لأجل **كلمات يرددها عالم فيزياء ملحدٍ فاقد للإنصاف والموضوعية**، وهو مقرٌّ بأنها (آراء خاصة) لا يقبلها (إجماع الفيزيائيين)!

إن ستينغر ***Stenger*** يبقى عاجزاً عن تفسير كيفية تحول (انعدام التركيب) أي العشوائية التي يتحدثون عنها في انطلاق الكون إلى (سلوكيات منتظمة) نراها كل يوم في الكون يؤدي أيّ اختلال فيها إلى خراب هائل لا يمكن توقعه..

لقد زعموا كابن ابي العوجاء أن ليس من آثار تدل على الله تعالى.. حيث روى الكليني قوله للإمام الصادق عليه السلام:

مَا مَنَعَهُ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ (من الإيمان بالله والمعاد..) أَنْ يَظْهَرَ لِخَلْقِهِ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ حَتَّى لَا يَخْتَلِفَ مِنْهُمُ اثْنَانِ؟

وَلِمَ احْتَجَبَ عَنْهُمْ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ وَلَوْ بَاشَرَهُمْ بِنَفْسِهِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ؟

قَالَ لِي عليه السلام: وَيْلَكَ وَكَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ؟

١. نُشُوءَكَ وَلَمْ تَكُنْ.

٢. وَكِبَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ.

٣. وَقُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ.

٤. وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ.

٥. وَسُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ.

٦. وَصِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ[1]..

(١) الكافي ج١ ص٧٥.

ولعلّ أفضل ما توصف به كلمات كلّ واحد من هؤلاء الملحدين هو عبارة أمير المؤمنين عليه السلام حينما نهى عن مؤاخاة بعض أصناف الناس.. ومنهم من كان: **سُكُوتُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِه**[1].

(١) الكافي ج٢ ص٣٧٦

مقال٩: إلحاد أم عناد؟! أين الله؟!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَه**[٢].

وعن الباقر عليه السلام: **من عاند الحق لزمه الوهن**[٣].

يلخص هذان الحديثان الشريفان حال من **حادَ عن الحق معانداً، سواء كان ملحداً أم مُتَلَبِّساً بلبوس الدين مستأكلاً به.**

وفيما يلي يزداد أمر عناد الملحدين وضوحاً وجلاءً.. حتى يصرعهم الحق فلا يستقيم لهم بعد ذلك شيء من أمورهم..

١. هل تخضع الماورائيات للمختبرات؟!

يحاول العلماء الملحدون إنكار وجود الله تعالى لأن (الأبحاث المختبرية) لم تثبت وجوده كما يقولون.

ومن التزم بهذه القاعدة بقوة أنكر وجود (الروح والنفس والإرادة) أيضاً لأن المختبرات لم تتمكن من رصدها! رغم وضوح آثارها..

ولما قيل لهم أن الموجودات تنقسم إلى:

١. موجودات مادية.

٢. موجودات غير مادية وهي ما يعبر عنها بـ(ما فوق الطبيعة).

---

(١) نشر هذا المقال في نهاية شهر صفر ١٤٣٩ للهجرة.

(٢) قصار الكلمات في نهج البلاغة ص٥٤٨.

(٣) الكافي ج٨ ص٢٠.

قالوا أنّ بالإمكان إجراء **الاختبارات حتى على الموجودات غير المادية**، وأن هذا صار ممكناً بعد تطور التقنيات الحديثة، **وبالتالي فإن أجرَينا اختبارات لاثبات وجود الله ولم نتمكن من التوصل لنتيجة مختبرية فإن هذا كافٍ في إمكان جحوده تعالى وإنكار وجوده!**

قال الملحد فيكتور ستينغر ***Victor Stenger*** بروفيسور الفيزياء والفلك في كتابه عن الله:

> **ان عدداً من العمليات الفوق طبيعية أو غير المادية المفترضة يمكن اختبارها تجريبياً** باستخدام الطرق العلمية القياسية[1].

لكن استدلالهم هذا عقيم جداً..

إذ أنه على فرض التسليم بإمكان اخضاع الماورائيات إلى الاختبارات التجريبية المختبرية (وهو محل خلاف بين العلماء كما يقرّ ستينغر) فإن أقصى ما يثبته هو خضوع (بعض) الظواهر للاختبار، لا كلّ الظواهر.

والنفي فرع الإحاطة ومتوقف عليها، والإحاطة لا تحصل إلا بعد إخضاع (كل الظواهر) غير المادية للاختبار لا (بعضها). فلا يصح نفي وجود شيء بعد اختبار جزئي، بل ينبغي أن يشمل الاختبار (كل شيء) لنتمكن من نفي وجود الإله. **وهذا أمر متعذر بإقرارهم**.

ثم ان لنوعية الاختبار تأثيراً، فقد تتمكن من إخضاع ظاهرة طبيعية أو غير طبيعية لاختبار فتفشل فيه وتنجح في ظاهرة أخرى، كأن تتمكن من رصد حال الجو ببعض الالات، لكنك لن تتمكن من رصد الزلازل بهذه الآلة، إلا ان تستخدم

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٣.

آلة أخرى مخصصة لذلك.

ولو تمكن العلم من رصد (بعض) الظواهر الطبيعية بآلة رصد الجو فلا يمكنه ان يدعي ان استعمال الالة كفيل بمعرفة أحوال طبقات الارض واحتمالات حصول الهزات الارضية مثلاً.

تصوّر نفسك تبحث عن صديق في فندق من الفنادق، وقد سُمح لك بالدخول الى ٤ غرف من ٣٠٠ غرفة يتضمنها الفندق، **فإن لم تجده في هذه الاربعة لا يمكنك نفي وجوده في سائر الغرف!**

فالجحود فرع الإحاطة.. وليس لأحد قدرة على الإحاطة.

لكن مثل ستينغر لا يمكنه تجاوز ذلك وإنكاره، فيقرّ في محلٍّ آخر أن **البحث عن الإله كالبحث عن لؤلؤة في الكون**[١]..

هذا لو كان البحث (مختبرياً) فقط وعلى طريقتهم.. أما لو كان **عقلياً منطقياً فلا شبهة في وجوده تعالى** كما تقدّم في الأبحاث السابقة.

لكن ستينغر حاول التخلص بطريقة أخرى عندما قال ان الموقف بالنسبة لله تعالى مختلف، فقال:

> لكن **الله يفترض أن يكون في كل مكان**، بما في ذلك **في كل صندوق مهما صغر**، ولهذا **علينا إما أن نجده مؤكدين بذلك وجوده، أو لا نجده مفندين بذلك وجوده**[٢].

ورغم أن كلام ستينغر قد ثبت بطلانه من كل الجهات.. إلا أن التساؤل يبقى

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٣٣.
(٢) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٣٣.

مطروحاً وينقلنا إلى بحث آخر:

هل يعتقد المؤمنون فعلاً (كما يزعم ستينغر وغيره) أن الله تعالى في كل مكان بما في ذلك في الصندوق؟!!

٢. هل الله موجود في كل مكان؟! قول النصارى..

نقصر الكلام على أكبر ديانتين سماويتين: المسيحية والإسلام. وأما اليهودية فيظهر حالها من كلمات العهد القديم التي ستأتي.

لقد تكرر في الكتاب المقدس تحديد محل سُكنى (الآب) وأنه في (السماء) ثمانية مرات على الأقل في (الملوك الأول) و(أخبار الأيام الثاني)، وهي مشتركة بين اليهود والنصارى، منها على سبيل المثال:

وَاسْمَعْ أَنْتَ فِي مَوْضِعِ سُكْنَاكَ فِي السَّمَاءِ[١].

فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ[٢].

وقد ورد ما لا يقل عن ١٨ مرة التعبير عن (أبينا) أنه (في السماوات):

أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ[٣].

وههنا أقوال (قد تنسب) إلى النصارى أو إلى ظواهر بعض كلماتهم:

القول الأول:

أن (**الخالق في السماء**) وهي (**مكان مادي**)، وعلى فرض التزام أحد من

---

(١) الملوك الأول ٨: ٣٠.

(٢) أخبار الأيام الثاني ٦: ٣٠.

(٣) متى ٥: ١٦، ومثلها في مرقس ولوقا مرات عديدة.

النصارى بهذا الكلام، فإنه لا ينفع الملحدين، إذ دعواهم تكون باطلة **لأنه لا يمكن إجراء الاختبار على من كان موجوداً في السماء فقط**، وهي تعني مكاناً بعيداً لا يمكننا الوصول إليه.

القول الثاني:

أن (**الخالق في السماء**) لكنها (**ليست مكاناً مادياً**) بل تدل على (السموّ والارتفاع) وهي عالم آخر غير العالم المادي.

وعلى هذا القول أيضاً يكون كلام الملحدين باطلاً.. لأن الخالق لن يكون موجوداً في مكان بل في عالمٍ أسمى من هذا العالم الماديّ، فلا يصح إخضاعه لاختبار (مكاني) لننفي وجوده عند فشل الإختبار.

وممّن صرّح بهذا القول ما ذُكر في (موقع شهود يهوه الرسمي) على الشبكة العنكبوتية في مقال تحت عنوان (هل يسكن الله في مكان محدّد؟) نشر في آب/ اغسطس ٢٠١١ وفيه:

> تدل هذه الآيات دلالة واضحة ان (يهوه الله) **لا يقيم في كل مكان** بل في السماء فقط.
>
> طبعا، لا تشير «السموات» هنا الى الغلاف الجوي المحيط بالارض او الامتداد الشاسع للفضاء الخارجيّ، اذ **لا يمكن للسموات الحرفية ان تسع خالق الكون**.(١ ملوك ٨:٢٧) فالكتاب المقدس يخبرنا ان «الله روح».(يوحنا ٤:٢٤) لذلك **يسكن في السموات الروحية**، وهي حيّز منفصل عن الكون المادي.١ كورنثوس ١٥:٤٤..

ليس من الضروري ان يكون الله كليّ الوجود ليعرف ما يجري في موقع ما من الكون.

وذكروا في محل آخر من موقعهم الرسمي:

وعندما يقول الكتاب المقدس ان الله يسكن في «السماء» فهو يشير الى **سمو مكان سكنى الله بالتباين مع المحيط المادي الذي نعيش فيه نحن**. اذًا، يعلِّم الكتاب المقدس ان الله يسكن في مكان محدَّد مع أن هذا المكان مختلف جداً عن الكون المادي[1].

فليس للملحد خبز ولا ملح مع النصارى حتى الآن.

القول الثالث:

أن (**الخالق في كل مكان**) بمعنى (**الحلول في الأماكن**) وهي مقولة (الله كليّ الوجود).

ورد في كتاب (أسئلة عن الله) تحت عنوان (أين الله؟ أين الله عندما نتألم؟) ما يلي:

رغم أننا نعرف أن حضور الله هو أساساً في السماء، إلا أن **الكتاب المقدس يعلمنا أن الله كلي الوجود (أي أنه موجود في كل مكان في نفس الوقت)**..

وهو موافق لما ورد في (دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة) بحسب ما ينقل موقع (القاموس المتعدد اللغات على الانترنت ***glosbe***) حيث يقول:

(١) بحث تحت عنوان: وجهة نظر الكتاب المقدس – هل الله حاضر في كل مكان؟

est bel et bien présent en tous lieux et en toutes choses.

أي أنه «**حالّ فعلاً في كافة الاماكن والاشياء الموجودة**».

وهذا الذي قصده ستينغر وعناه بقوله:

لكن الله يفترض أن يكون في كل مكان، بما في ذلك في كل صندوق مهما صغر[1].

وقد بيّنا بطلان كلام الملحد حتى عند أصحاب هذا القول، إذ لو كان (الخالق) (حالاً في كافة الأماكن) والعياذ بالله، وأمكن إجراء اختبار على بعضها لم يكن في عدم العثور عليه دليلاً على عدم وجوده لأن لقائل أن يقول: أنكم قمتم ببعض أنواع الاختبارات وينبغي أن تحيطوا بكل ما يمكن أن يجري من اختبارات بكافة أنواعها، والحال أن العلم لا يزال بحاجة إلى أشواط طويلة جداً ليسبر غور العلوم كافة، فكل العلماء في كل المجالات يقرّون بأنهم لم يصلوا إلا إلى قسم يسير من العلوم، وبالتالي **يكون الاستقراء ناقصاً والبحث عقيماً، واستدلال الملحد غير موفق أبداً**.

لكن هل هذا ما يعتقده النصارى جميعاً فعلاً؟ أم أن القول الرابع يوضح رأي شريحة أخرى منهم؟

القول الرابع:

أن (**الخالق في كل مكان**) بمعنى (**الإحاطة بالأماكن**) لا الحلول فيها.

يفسر **بعض النصارى** مقولة أن الله (كلي الوجود) بأنها تعني **إحاطة الله تعالى**

(١) تقدم عن كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٣٣.

بما يجري في كل مكان وزمان، (دون أن يكون خاضعاً للزمان والمكان) ولا محدوداً بهما.. وليست تعابيرهم واضحة في ذلك **إنما تحتاج إلى دعم هذه الفكرة من النصوص الإسلامية**..

وهذه بعض كلماتهم التي تشير إلى هذا المعنى وإن تفاوت وضوحها في ذلك:

أ. ما قاله ج. كلايد تارنر ***turner john clyde*** راعي الكنيسة المعمدانية في كارولينا الشمالية وغيرها.. في كتابه (هذه عقائدنا) في الفصل الثاني: الإله الواحد الحق:

> **إن الله كلي الوجود**. وهذا **لا يعني أنه منتشر في الكون بأسره، لكن الله بكامله حاضر في كل مكان**. هناك عبارات في الكتاب المقدس تظهر وكأنما هي تحصر وجود الله في مكان معين "أبانا الذي في السموات" (متى ٦:٩). "يا ساكناً في السموات" (مزمور ١٢٣:١). "الرب في السموات ثبت كرسيه" (مزمور ١٠٣:١٩). إن هذه العبارات **يجب أن ننظر إليها كتعابير رمزية تماماً كتلك التي تتكلم عن ذراعيه أو يديه. لا يمكننا أن نحصر الله بمكان أو في مكان**.

إذاً هي عنده تعابير رمزية تدلّ على أن الخالق غير محصور بالمكان.

ب. ما ذكر في موقع (أسئلة من الكتاب المقدس ***gotquestions.org*** تحت عنوان: ما معنى أن الله كلي الوجود؟)

> إن **القول بأن الله كلي الوجود يعنى أن الله موجود في كل مكان.** تعتقد الكثير من الديانات بأن الله كلي الوجود، ولكن في كل من

اليهودية والمسيحية تقسم هذه النظرة أكثر إلى **الإيمان بأن الله سامٍ ومتعالٍ وهو قريب منا في نفس الوقت**. فرغم أن الله غير متضمن في الخليقة إلا أنه موجود في كل مكان في كل الأوقات...
كون الله كلي الوجود يعني **حضوره في كل وقت وكل مكان، ورغم هذا فهو ليس محدوداً بالوقت أو المكان**. ليست هناك خلية أو ذرة من الصغر بحيث لا يكون الله فيها بصورة كاملة ولا مجرة من الإتساع بحيث لا يحدها الله.

فحضوره في كل وقت وكل مكان بحسب كلامهم لا يعني أنه محدود بالوقت أو المكان..

ج. ما ينقله موقع ويكيبيديا عن (التعليم المسيحي للشبيبة الكاثوليكية) ولم نعثر على المصدر للتحقق منه، وهو قولهم:

تعني صفة الخلق أيضًا أن الله خلق الزمان والمكان، **وهذا يؤدي حكمًا لكون الله هو الوحيد خارج نطاق الزمان والمكان**.

وهذا **القول الرابع عند بعض النصارى ينفي أن يكون وجود الخالق وجوداً مادياً في كل مكان**، بل يثبت أنه (خارج نطاق الزمان والمكان).

وهو يستند إلى جملة نصوص في كتابهم المقدس منها:

النص الأول: المزامير ١٣٩

٧ أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟
٨ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ.

٩ إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي البَحْرِ.
١٠ فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ.

وفسّرها القمص[١] تادرس يعقوب بما يقرب من الرأي الرابع بقوله:

الله ليس فقط عالم بكل شيء، وإنما هو أيضًا حاضر في كل مكانٍ، في ذات اللحظة. **حضوره في كل مكان لا يعني وحدة الوجود، أي المذهب القائل بأن الله والطبيعة شيء واحد** ... هل يوجد مكان فيه يتجنب الإنسان روح الله؟ هل يوجد موضع يختفي فيه الإنسان من الحضرة الإلهية؟[٢].

وينقل القمص تادرس قول القديس يوحنا الذهبي الفم:

يشير إلى الله بكونه روحا وحضورا، بمعنى أين أذهب منك؟ أنت تملأ كل شيئ، وحاضر بالنسبة لكل أحد، ولكن ليس كجزءٍ، بل بكليتك لكل واحدٍ.

النص الثاني: سفر إرميا ٢٣

٢٣ أَلَعَلِّي إِلهٌ مِنْ قَرِيبٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَسْتُ إِلهًا مِنْ بَعِيدٍ.
٢٤ إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ **أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟**

(١) هو لقب ديني كان يحمله رئيس الدير في الكنيستين الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الشرقية، ويعادل منصب رئيس الدير في الكنائس الغربية.
(٢) انتهى محل الشاهد، وعبائره هذه مع ما يلي منقولة عن موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي على شبكة الانترنت.

القمص تادرس يعقوب يبين ذلك بتفسير مشابه لما تقدم فيقول:

يسكن الله في السماء في الأعالي، وكأن الأرض كلها صغيرة بالنسبة له، يراها بكل خطاياها، ولا يقدر أحد ما أن يختفي عنه. وفي نفس الوقت يملأ السماء والأرض، أينما هرب إنسان يجد الله حاضرًا... **فهو بعيد ومُنَزَّه عن كل الخليقة، وقريب جدًا وملاصق لها.**

النص الثالث: سفر أعمال الرسل ١٧

٢٧ لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، **مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيداً.**

٢٨ لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ.

ويفسرها القمص يعقوب مجدداً بأن حضور الله هو (حضور إلهي) يملأ به كل مكان وليس حضوراً (مادياً) في كل مكان، فيقول:

أما أين هو الله، فهو ليس ببعيدٍ عن كل أحد، إذ نطلبه نجده في داخلنا قريب إلينا أقرب من التماثيل التي أمامنا. **هو حاضر في كل مكان، يملأ السماء والأرض بحضوره الإلهي.**

وخلاصة القول..

أن النصارى الذين يعيش أكثر هؤلاء الملحدين بينهم إنما يرجحون القول بأن **الله تعالى في السماء وهي تعني العلو والارتفاع لا المكان**، أو أنه في **كل مكان بمعنى (الحضور الإلهي) غير المحدد بالمكان:**

فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ[١].

ولئن صرح بعضهم بأن الله حالّ في الأماكن.. فإن هذا لا يفيد الملحد في شيء لأن **أدوات الملحد (المختبرية) لا تزال عاجزة عن الإحاطة بكل ما يمكن اختباره..**

فضلاً عن أن العقل يرشد إلى الله تعالى كما تقدم ولو لم يتمكن الملحد من إثبات ذلك بالمختبر بطرقه المحدودة.

٣. هل الله موجود في كل مكان؟! قول المسلمين

زعم بعض الملحدين أن المسلمين أيضاً يقولون بأن الله تعالى في السماء، وتوهموا ذلك من قوله تعالى:

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ﴾[٢].

لكن السماء هنا تعني: **الارتفاع والعلو**، فمعنى ذلك أنه تعالى عالٍ في قدرته عزيز في سلطانه.. وقيل: **أأمنتم من في السماء: أمره وآياته ورزقه وما جرى مجرى ذلك**[٣].

وزعم بعض آخر أن المسلمين يقولون أنه (في كل مكان) بمعنى الحضور المكاني، وذلك لما قرؤوا قوله تعالى:

---

(١) الأمثال ١٥ :٣.

(٢) الملك ١٦.

(٣) أمالي المرتضى ج٢ ص١٦٨.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[١].

لكن الأمر أكثر وضوحاً عند المسلمين، فهم يعتقدون أن **الله تعالى خالق المكان والزمان فلا يحويه أي منهما**[٢].. وهو المحيط بكل الأماكن، والعالم بها قبل خلقها، والقادر على التصرف بها كيف شاء..

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَه**[٣].

فلا يقال لله: في أي شيء هو؟ إذ هو خالق الأشياء.. وكونه في شيء يعني أن الشيء يتضمنه وهو باطل بلا شبهة.

أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِأَيْنٍ وَهُوَ الَّذِي أَيَّنَ الأَيْنَ حَتَّى صَارَ أَيْناً فَعُرِفَتِ الأَيْنُ بِمَا أَيَّنَ لَنَا مِنَ الأَيْن: كما عن الصادق عليه السلام[٤]..

فهو الذي خلق المكان حتى صار مكاناً، فعُرِف المكان بخلقه له.. ولولا خلقه المكان لم يُعرف المكان بل لم يوجد. فلا يُعقل أن يحويه ما خلقه.

وهو الذي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ مِنْ شَيْءٍ أَوْ فِي شَيْءٍ أَوْ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ كَفَر.. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْصُوراً[٦]..

---

(١) البقرة ١١٥.
(٢) تعرّضنا لذلك بشكل مفصّل في كتاب: عرفان آل محمد عليهم السلام.
(٣) الكافي ج١ ص١٤٠.
(٤) الكافي ج١ ص١٠٤، وقريب منه ما في ص٧٨و١٣٨.
(٥) الشورى ١١.
(٦) الكافي ج١ ص١٢٨.

إذاً كيف يجمع المسلمون بين قولهم أنه (ليس في شيء من المكان) وأنه (في كل مكان)؟

كما ورد في الأحاديث: فعن أبي عبد الله عليه السلام: لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَان [١].

وعنه عليه السلام: فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْدُود[٢].

اتّضح الجواب مما سبق حيث أن:

١. **المنفي هو وجوده في المكان كوجود أي موجود آخر، وجوداً ذاتياً تلزم منه المحدودية**، فإذا وجد في أي مكان حواه ذلك المكان فصار محتاجاً فلم يكن خالقاً له ولم يكن إلهنا الذي نعبده.

٢. **المُثبَت هو وجوده في المكان بمعنى علمه وإحاطته به وإشرافه عليه** وقدرته على التصرف فيه..

عن أبي عبد الله عليه السلام: ..﴿وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ **بِالْإِشْرَافِ وَالْإِحَاطَةِ وَالْقُدْرَةِ** ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ﴾ **بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِيهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ فَإِذَا كَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهَا الْحَوَايَة**[٣].

وحتى من انحرف عن الإسلام من المسلمين، وابتعد عن نهج العترة الطاهرة لم يجد بدّاً من الالتزام بأن الله تعالى لا يحتويه مكان.. فهذا المفتي ابن باز يقول:

---

(١) الكافي ج١ ص١٢٦.
(٢) الكافي ج١ ص٩٤.
(٣) الكافي ج١ ص١٢٧.

الله سبحانه فوق العرش، فوق العلو، فوق جميع الخلق، عند أهل السنة والجماعة، هكذا جاءت الرسل بهذا عليهم الصلاة والسلام، كل الرسل جاؤوا بأن الله فوق العرش، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى.. **ومن قال بأن الله في كل مكان أو ليس في العلو فهو كافر، مكذب لله ولرسوله**، ومكذب لإجماع أهل السنة والجماعة[1].

واتضح بهذه النصوص من **العهدين القديم والجديد، ومن القرآن الكريم والحديث الشريف**، أن **معظم المؤمنين** بالله تعالى **لا يعتقدونه جسماً تحويه الأماكن**، وأن **ما يذكره الملحدون بعيد كل البعد عن الدقة والإنصاف**.. ولو اعتقد بذلك بعضهم فلا يمكن محاكمة الجميع برأي البعض..

ولا نجد **وجهاً لكلام الملاحدة سوى العناد ومصارعة الحق.. ومن صارع الحق صرعه..**

(١) جواب في موقعه الرسمي تحت عنوان: حكم من يقول أنّ الله في كل مكان.

مقال ١٠: الدين.. فوق شبهات الملحدين

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

روي عن باقر علوم الأولين والآخرين عليه السلام أنه قال:

إِنَّ الكَذِبَ هُوَ خَرَابُ (خرَّاب) الإِيمَانِ[٢].

لقد ابتُلِيَ المؤمنون بفئة من الناس **لا تعرف الخصام بشرف، وتسلك الكذب والإفتراء وسيلة لحربٍ غير نظيفة ضد الأديان**، تُستباح فيها كل سُبُل الإسقاط والتشويه، على قاعدة أن (الغاية تبرّر الوسيلة)..

وهي نفسها النظرية التي اتّبعها المنافقون ولا يزالون..

ومن هؤلاء (المفترين) طوائف من (الكافرين) و(الملحدين)، وصفهم تعالى في سورة المائدة: ﴿لكِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[٣].

فالمُفترَى عليه هو (الله تعالى)! من قبل قوم أكثرهم (لا يعقلون).. وغرض المفترِي كما في سورة الأنعام: ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْم﴾[٤].

حتى صاروا مصداقاً لمن (يكذب على نفسه)! قال تعالى:

﴿انْظُرْ كَيْفَ **كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ** وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٥].

وبما أن الأديان السماوية سلسلة متكاملة نزلت بشكل تدريجي على لسان

---

(١) نشر هذا المقال في الخامس من ربيع الأول ١٤٣٩ للهجرة الموافق لـ ٢٤-١١-٢٠١٧.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٣٩.

(٣) المائدة ١٠٣.

(٤) الأنعام ١٤٤.

(٥) الأنعام ٢٤.

الأنبياء كما نعتقد، فمن المناسب اعتماد نصوص الإسلام آخر الأديان السماوية وأكملها في مقام الإجابة على افتراءات هؤلاء (الملحدين) بحق الأديان قاطبة.. بغض النظر عما طاول كلّ دين من تشويه ولا يزال، فإن المحاكمة تكون للأصيل دون البديل الدخيل، والجواب من **لسان النبع الصافي دون الملوث**.

١. الدين أصل الشرور! ولا يعتمد الدليل!

فرية أطلقها جملة من الملحدين المعاصرين وعلى رأسهم د. ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins*** بقوله مراراً أن:

> **الدين هو أصل الشرور... الإيمان هو أحد أعظم شرور العالم**، وإنه مثل فايروس يصعب استئصاله... الإيمان كمفهوم مجرد يعني ببساطة أن **تتقبل شيئاً لا يدعمه الدليل**، وحين أقول (دليل) فأنا أعني ما نستخدمه في حياتنا اليومية من منطق[١].

ويقول:

> فهناك فرق كبير وشاسع بين من يتعصب لفكرة يظن بأنه تلقى ما يكفي من الأدلة لاعتبارها فكرة مثبتة، وبين من **يتعصب للتمسك بإيمان لا يدعمه سوى الظن**، وسوى الموروث والإيحاءات المتخيّلة.. فرق كبير بين هذين السلوكين[٢]..

---

(١) حوارات سيدني ص١٠٩.

(٢) حوارات سيدني ص٢١١.

أما كون الدين والإيمان شراً، فهو ما تدحضه دعوة الدين نفسها: ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ **وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً** وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾[١].

وتأمر الأديان بأداء الامانات والحكم بالعدل، وهو أساس كل استقامة في المجتمع:

﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ **تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** إِنَّ اللهَّ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَّ كانَ سَميعاً بَصيراً﴾[٢].

وقد اشتهر عن رسول الإسلام محمد ﷺ قوله: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاق[٣].

وأما الأديان فإنها **تمنع من اتباع الظن في أصل الايمان والاعتقاد**، وتنفي افتراء دوكنز بقوله (من يتعصب للتمسك بإيمان لا يدعمه سوى الظن)..

قال تعالى: ﴿وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾[٤].

وهتفت بذلك آيات وروايات كثيرة.. ففي قرآن المسلمين عشرات الروايات التي **تحث على التعقل والتدبر والتأمل والتفكر لتحصيل العلم والإيمان**..

وعلى هذا جرى المسلمون في **لزوم تحصيل القطع واليقين في الاعتقاد**.. وأين هذا من افتراءات الملحدين؟! الذين يقرّون بجهلهم ثم يجحدون الله تعالى..

---

(١) البقرة ٢٦٨.

(٢) النساء ٥٨.

(٣) مكارم الأخلاق ص٨.

(٤) يونس ٣٦.

إنهم لم يبلغوا مرحلة الظن حتى.. بل ظلوا في ظلمات الوهم والجهل..

٢. الدين يهاجم التكامل والنمو والإزدهار!

يزعم الملحدون ومنهم الكاتب والصحافي الأمريكي الناقد للأديان كريستوفر هيتشينز ***Christopher Hitchens*** أن:

> **الدين في واقعه يهاجم التكامل الأساسي** الذي نحتاجه في البحث العلمي والتجارب وتوسعة المعرفة، **وكل ما يساعد على النمو والازدهار**[١].

لكن هؤلاء الملحدين لا يكلفون أنفسهم عناء إبراز الدليل على مزاعمهم، فلا يأتون بشاهد واحد على كون الدين يهاجم العلم وتوسعة المعرفة!

لأنهم لو راجعوا النصوص الدينية لوجدوها على نقيض ما يزعمون تماماً..

فهي تحث على طلب العلم وتعده فريضة على الكبير والصغير..

وهذا القرآن الكريم يذم الجهل والجهلة بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمُون﴾[٢].

﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ العالِمُونَ﴾[٣].

إن المؤمنين يعتقدون تبعاً لما روي عن صادق العترة الطاهرة عليه السلام أن العلم

---

(١) حوارات سيدني ص١٨٥.

(٢) الزمر ١٢.

(٣) العنكبوت ٤٣.

هو الطريق الوحيد الذي ينبغي سلوكه في هذه الدنيا: **وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَد**[١].

وعنه عليه السلام: **وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الجَهْلِ، وَأَنَّ النُّورَ فِي العِلْمِ فَهَذَا مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ العَقْل**[٢].

إنها سقطات الملحدين مجدداً..

٣. الإيمان يغلق العقل ويعادي الناس ويذلهم أمام السلطة!

يقول بروفيسور الفيزياء والفلك الملحد فيكتور ستينغر ***Victor Stenger***:

> فالأديان تشرّع القيم القبلية: الولاء لقبيلتنا، والعداء لسائر القبائل، الإيمان المُغلِق للعقل، والطاعة المذلّة للسلطة[٣]..

أما **فريته الأولى**.. فيدحضها قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقاكُمْ**﴾[٤].

فأين مفهوم الولاء لقبيلتنا والعداء لسائر القبائل؟! والقرآن الكريم يبين أهمية التعارف ويجعل ميزان القرب من الله تعالى هو التقوى بما تشمل حسن العشرة مع الناس وحسن الخلق والاستقامة وترك الظلم وأمثالها من الفضائل الإنسانية

---

(١) الكافي ج١ ص١٧.
(٢) الكافي ج١ ص٢٩.
(٣) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٤١.
(٤) الحجرات ١٣.

السامية؟!

وأما **فريته الثانية**.. فتدحضها آيات الكتاب الكريم التي حثّت على التعقّل والتفكر والتدبّر، وما اشتهر في روايات المسلمين من أن العقل أحسن خلق الله تعالى، وأنه مدار الثواب والعقاب[١].. وقد تقدمت بعض النصوص في ضرورة العلم وأن طريقه العقل.. فأي إغلاق للعقل رآه ستينغر في أديان السماء؟!

وأما **فريته الثالثة**: الطاعة المذلّة للسلطة.

فيردها ما اشتهر عن رسول الإنسانية ﷺ من قوله: **لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**[٢].

جناحها الآخر قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه: **لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ الله حُرّاً**[٣]..

فهذه مدرسة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام برموزها الأئمة الأطهار **تنير درب البشرية ولا تقرّ بلزوم طاعة السلطة الفاسدة**..

٤. الدين مسؤول عن المذابح عبر العصور!

يقول الملحد فيكتور ستينغر ***Victor Stenger***:

---

(١) عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَمَّا خَلَقَ الله الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْسَنَ مِنْكَ إِيَّاكَ آمُرُ وَإِيَّاكَ أَنْهَى وَإِيَّاكَ أُثِيبُ وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ (الكافي ج١ ص٢٦).

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٨١.

(٣) نهج البلاغة ص٤٠١.

لم يكن تسعة عشر مسلماً **ليقدموا على إلحاق الدمار** في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ **مدمرين أنفسهم** إضافة لثلاثة آلاف آخرين، **لو لم يكونوا مؤمنين**، لا أحتاج هنا لتفصيل كل **المذابح التي جرت باسم الله عبر العصور**[١]..

لقد أكثر هؤلاء من تحميل الدين مسؤولية (معظم) الجرائم والمذابح التي حصلت عبر التاريخ.. وإلى يومنا هذا.. وأنه رائد القتل والذبح..

وبعدما تقدّمت حقيقة موقف الأديان.. يتضح أن هؤلاء قد غفلوا عن أن هناك **فرقاً بين الدين ودعوته، وبين المستغلين المغرضين** الذين يتلبسون بلباس الدين..

وهذا الاتهام ظالم من جهتين:

الجهة الاولى:

لو (فرضنا) أن بعض الاديان او المذاهب كذلك فعلاً فإن هذا **لا يسوغ تعميم الكلام وإطلاقه على عواهنه، ليستوي القاتل والمقتول.**

فلو كان السني السلفي قد قتل الشيعة على مر التاريخ واضطهدهم وارتكب بحقهم أبشع الجرائم (لأن دينه يأمره بذلك أو لأنه حرف دينه وأساء استغلاله) **فما ذنب الشيعي الذي ما سلّ سيفا الا للدفاع عن نفسه ودينه؟**

إذا كان الكاثوليك (على ذمة نقلة التاريخ) (ولنفرض أن ذلك كان بدافع ديني) قد شنوا حرب الثلاثين عاماً في القرن السابع عشر وقتلوا الاف البروتستانت

(١) كتاب: الله.. الفرضية الفاشلة! ص٢٣٧.

فهل يستوي القاتل والمقتول حينها؟

إن إطلاق الكلام بهذه الطريقة فيه **مساواة بين الضحية والجلاد**.. وهو بعيد كل البعد عن المعايير العلمية.

الجهة الثانية:

ان توجيه الاتهام للأديان في كل ما يصدر عن المتدينين هو مجازفة في غير محلها، فإن المتدين لا يتحرك دائماً من خلفية دينية، وإن كان حراكه من خلفية دينية فلا يلزم ان تكون صحيحة وفق دينه.

فكم نجدُ من قاضٍ يخالف دوره الطبيعي في تطبيق القانون لمصلحته الشخصية.

وكم من محامٍ ينحرف عن دوره الأساسي في الدفاع عن البريء فيورط المظلوم لينقذ الظالم.

وكم من زعيم يستغل منصبه وشعبه وقوانين بلاده في سبيل مصالحه الخاصة. مؤمناً كان أم ملحداً..

وكم من قائد عسكري يستغل جيشه في سبيل السطوة والسلطة والبطش..

لو أراد هؤلاء الإنصاف **لوجهوا التهمة لكل اكتشاف بشري مذهل**..

كيف ذلك؟

لقد توصل الانسان الى اجراء تفاعلات ذرية فأطلق البشر القنبلة النووية وأبادوا البشر والحجر..

واكتشف الانسان تقنية الاقمار الصناعية فوجهها البشر للتحكم بالصواريخ واصابة الاهداف بدقة وقتل الاطفال والنساء.

واخترع الانسان السيارة فعمد بعض الناس الى دهس الأبرياء عمداً ظلماً وعدواناً..

وبنى الإنسان ناطحات السحاب فانتحر بعض الناس عنها..

وأشعل الانسان النار ليستفيد منها فأحرق البشر بعضهم بها..

الإنصاف يقتضي (إن أدينت الأديان بمثل هذه الأفعال) أن تصدر قوانين تمنع قيادة السيارات وركوب الطائرات وبناء البنايات وإشعال النيران.. لماذا؟

لأن بعض الناس قد استغلها لغير ما وجدت له!

أو حرفوها عن مسارها إلى مسارٍ آخر!

لماذا لم نسمع دعوة من الملحدين لوقف الابحاث العلمية لان الجيوش تستخدمها في الإبادة الجماعية؟

ولماذا لم نسمع دعوات لتجريد الجيوش كلها من سلاحها لان هناك جيوشاً قد ارتكبت الفظائع.. إنها **ازدواجية المعايير**..

وكما **لم يكن من الإنصاف المطالبة بمنع كل ذلك**.. ولا يصح تحميل مخترع السيارة مسؤولية من يدهس الناس بسيارته..

كذلك ليس من الإنصاف المطالبة بمحاربة الأديان.. ولا يصح تحميل الدين مسؤولية ما يرتكبه هؤلاء..

لقد رأينا الله بنور الإيمان! وأثبتته العقول إثبات العيان!

وإذا كانت شبهات الملحدين زائفة تماماً، وكانت الأديان الأصيلة أشرف من هذه الشبهات..

فهل من سبيل لإثبات التوحيد وفق ما اعتمده هؤلاء الملحدون وزملاؤهم اللا أدريون من أدلة؟

نستعرض **بعض كلماتهم** لنرى ما هي الأدلة المعتمدة عندهم:

١. القضايا غير الملموسة!

يقرّ الملحد دوكنز ***Dawkins*** بقبول العقل للقضايا (غير الملموسة وغير المحسوسة) بقوله:

> وهنا أقول إنه لشيء عظيم أن تكون **لأدمغتنا القدرة على فهم قضايا بأبعاد غير ملموسة ولا محسوسة**، لو جرت مقارنتها مع حجم الأشياء التي يتعامل معها الإنسان يومياً[١]..

فلا مجال إذاً لإنكار ما لم نتمكن من تلمّسه ولا الإحساس به إحساساً مادياً.

٢. منافع لا يمكن تعليلها بالمنطق!

يستشهد الفيزيائي الفلكي اللا أدري نيل ديغراس تايسون ***Neil deGrasse Tyson*** بكلام الفيزيائي والرياضي الأمريكي الحائز على جائزة نوبل يوجين ويغنر ***Eugene Wigner*** بقوله:

> **إن للرياضيات إمكانيات ومنافع لا يمكن تفسيرها أو تعليلها بالمنطق**، وقد ظهرت هذه الإمكانيات لحظة اختراع الإنسان لها

(١) حوارات سيدني ص٩٧.

ووضعها خارج دماغه[1]..

وهو هنا يؤكد على أن **بعض الأمور التي يتيقن منها الإنسان ويعيشها يوماً فيوم مما لا يمكن تفسيره أو تعليله بالمنطق**، ولكن **لم يكن العجز عن التفسير سبباً للإنكار أبداً بعد الجزم والقطع بوجودها**.

فكيف لو كان لها تفسيرات منطقية عقلية بحدود يدركها أغلب الناس فيما لا يتنبه لها من غفل عنها لسبقِ شبهةٍ.

ولماذا ساغ له الاعتقاد بمنافع رياضية لا يمكن تفسيرها ولم يسغ الاعتقاد **بوجود الخالق إن لم يتمكن من تفسير بعض جزئيات** هذا الاعتقاد بعقله؟

إنها **قسمة ضيزى**..

كان ينبغي أن يكون حالهم **كالتلميذ النبيه**، الذي يدخل الى محاضرة **الأستاذ المفوه**.

يفهم أول مسألة معقدة فيدرك سعة علم استاذه وقوة بيانه واحاطته.

ثم **يعجز عن فهم المسألة الثانية فيدرك أيضاً مقدار علم استاذه** حيث أدرك ما لم يتمكن هو بعد من إدراكه..

فإن عرفت تفسير ظاهرة عظيمة **أوصلك ذلك لله**، لأنه أعظم من مخلوقاته هذه..

وإن لم تعرف تفسيرها **أوصلك له أيضاً لعظمة من صنعها** حيث لم تتمكن بعقلك بعد من إدراك حقيقتها..

---

(١) حوارات سيدني ص٩٨.

٣. الحواس قد تخدعنا!

إن تايسون ***Tyson*** يصرح بعد ذلك بقوله:

> وأهم ما أنتجته الرياضيات هي أنها **علمتنا أن نغادر حواسنا**، لماذا؟ لان الرياضيات تخبرنا ببساطة كيف أن **حواسنا يمكن أن تخدعنا بسهولة. ويمكن لهذه الحواس أن تخبرنا بأن شيئاً ما هو حقيقي ولكنه في الواقع ليس كذلك**[١]..

ليصل إلى قوله:

> **ولا ينفع أن نقول: إن هذه الفكرة العلمية مثلاً لا تبدو حقيقية لأنها تبدو (غير منطقية)، خاصة إذا ربطنا المنطق فقط بما تتمكن حواسنا من لمسه أو التعرف عليه، لأنه لا أحد سيأبه لما تحسّه وتلمسه حواسك**[٢]..

وهنا يظهر جلياً أن علماء الفيزياء والرياضيات يؤكدون على أهمية المنطق الذي يوصلك إلى ما لا تتمكن حواسك من إدراكه، ثم يكون أمراً علمياً محضاً يعول عليه في كل المسائل العلمية.

وعليه **فإن أوصلنا البحث المنطقي إلى حقيقة وجود الله تعالى** دون أن تتمكن حواسنا من لمسه والتعرف عليه كان علينا أن **نقرّ بهذه الحقيقة**، ومن أنكرها بحجة أن حواسه لم تثبتها وأنها غير خاضعة للاختبار **فلنا أن نلتزم بما قاله تايسون*Tyson***:

---

(١) حوارات سيدني ص٩٨.

(٢) حوارات سيدني ص٩٨.

لن نأبه لما تحسه وتلمسه حواسك.

ساغَ لنا إذاً أن نفتخر بأننا أتباع القائل:

رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَثْبَتَتْهُ الْعُقُولُ بِيَقَظَتِهَا إِثْبَاتَ الْعِيَانِ، وَأَبْصَرَتْهُ الْأَبْصَارُ بِمَا رَأَتْهُ مِنْ حُسْنِ التَّرْكِيبِ وَإِحْكَامِ التَّأْلِيفِ **ثُمَّ** الرُّسُلُ وَآيَاتُهَا وَالْكُتُبُ وَمُحْكَمَاتُهَا، **اقْتَصَرَتِ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَا رَأَتْ مِنْ عَظَمَتِهِ دُونَ رُؤْيَتِه**[1]..

والفطرة تشهد بذلك كما يقرّ الملحدون، حيث يقول أحد أبرز رموزهم ريتشارد دوكنز ***Richard Dawkins***:

> **الأطفال بالأخص أكثر ميلاً لافتراض لكل شيء غاية... الأطفال غائيون بالفطرة** والعديد لا تنمو معه هذه الفكرة مع تقدم العمر.. **الغائية الطفولية تهيؤنا للتدين**. إذا كان كل شيء له هدف، فلمن ترجع هذه الأهداف؟ الله طبعاً..
>
> حتى الآن حساباتي عن المثنوية الفطرية افترضت أن الإنسان يلد مثنوياً غائياً بطبيعته[2]..

لكنهم شوهوا هذه الفطرة وحرفوها عما أريد لها..

لقد أنقذنا أمير المؤمنين من مسلك هؤلاء حين قال في نهجه: **فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً**[3]..

---

(١) عن الصادق عليه السلام في الإحتجاج ج٢ ص٣٣٦.

(٢) وهم الإله ص١٨٢.

(٣) نهج البلاغة ص٤١٨.

فلئن لهى الملحدون عما يراد بهم.. أو ظنوا أنهم تركوا سدى.. فإن الفطرة تُكذّب ذلك، والعقل يفنّده.. **ونور الإيمان يضيء بصائر المؤمنين**.. فتراهم يتمثلون بقول نوحٍ مخاطبين الملحدين: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1]..

سخريتكم هي سخرية تهكّم وجهل وقذارة.

وسخريتنا هي سخرية الحق على الباطل بعد إتمام الحجة.

سخريتكم تفتقر للأدب والأخلاق.

سخريتنا تقوم على أدب رد القبيح إلى أهله.

والحمد لله رب العالمين.

(١) هود ٣٨.

ملحق: محاضرة: العلم بين الالحاد والايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمّن هذا الفصل محاضرة لها صلة بموضوع الكتاب، تحت عنوان: **العلم بين الالحاد والايمان**، لسماحة الوالد الشيخ مصطفى محمد مصري العاملي، ألقاها في جامعة المثنى في العراق في ١٦-٤-٢٠١٨ بدعوة من كلية القانون، آثرنا نشرها كملحق للكتاب إتماماً للفائدة، وفيما يلي نصُّ المحاضرة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اعزائي.. أود أن تكون لدينا في بداية هذه المحاضرة وقفة تأمل وتفكر.. باعتبار ان ما يميز الانسان عن بقية المخلوقات هو قدرته على التفكير والاختيار بين الأشياء، وبهذا يسموا الانسان على بقية الكائنات، فنراه يسخرها لخدمته عندما يحسن الاختيار، ويجعلها وبالاً عليه عندما يسيء الاختيار.

لذا.. فإنه عندما يقف عالم دين بما يمثل متحدثاً في صرح علمي اكاديمي عما يعتقد به، فمعنى ذلك أن هناك علاقة ما، بين ما يرمز اليه وما يرمز اليه المكان، فالمكان هو صرح علمي، والمتحدث يمثل منهجا فكريا في الحياة يرتكز على نظرية الايمان، ولكن يقابل هذه النظرية (نظرية الايمان) من الناحية الفكرية نظرية أخرى تمثل النقيض لها وهي (نظرية الالحاد)، ولكي نتحدث بموضوعية وانصاف في هذا البحث فقد صار لزاما علينا أن نضيف مفردة الالحاد الى مفردتي العلم والايمان، ولذا اخترت عنوانا لهذه المحاضرة يجمع بين هذه المفردات الثلاث وهو:

العلم بين الالحاد والايمان

وكمدخل توضيحي لذلك لا بد من أن نبين نمط العلاقة بين كلتا النظريتين.

فالإيمان والالحاد **نظريتان متعارضتان متناقضتان** في النظرة الى مبدأ وجود الكون بشكل عام، وحقيقة خلق الإنسان بشكل خاص، ولا يمكن لهما ان يجتمعا معاً، بل إن اعتقاد شخص بأحدهما يعني نفي النظرية الأخرى، وبالتالي لا بد من صدق أحدهما وكذب الاخرى.

السؤال الذي يطرح أمام هذه المعادلة: **أين موقع العلم بالنسبة لهاتين النظريتين؟**

هل أن العلم يثبت صحة نظرية الايمان، وينفي نظرية الالحاد؟

أم على العكس من أنه يثبت صحة الالحاد وينفي نظرية الايمان؟

أم أن العلم ليست له علاقة بكلتا النظريتين؟

وبتعبير آخر: هل أن العلم يقف الى جانب احدى النظريتين؟

أم أنه يقف على الحياد في ذلك؟ وهل يمكن للعلم ان يكون حياديا؟

مجموعة من الأسئلة.. تشكل الإجابة عليها مادة لهذه المحاضرة..

وقبل ان نشرع بتحديد الأجوبة لا بد لنا من ان نتوقف عند معاني تلك المفردات..

العلم كما في مجمع البحرين[1] هو: **اليقين الذي لا يدخله الاحتمال.**

وهذا هو الأصل فيه لغة وشرعا وعرفا، اذن فالعلم هو المناقض للجهل..

والعلوم في واقعنا تطبيقية ونظرية.. ولكل منهما خصوصياته وقواعده وآلياته..

---

(١) مجمع البحرين ج٦ ص ١٢١.

يقول عالم الكيمياء جابر بن حيان، والذي يعتبر واضع الأسس الأولى لهذا العلم:

«**إن كمال الصنعة، العمل والتجربة، فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبدا**».

وفي المفهوم الديني يقول النبي محمد صلى الله عليه وآله: **الْعِلْمُ عِلْمَانِ عِلْمُ الْأَبْدَانِ وَعِلْمُ الْأَدْيَان**[1].

فالعلم اذن هو المعرفة، ونقيض المعرفة هو الجهل، فالمعرفة من صفات الكمال.

ولذا نشاهد أن الانسان بفطرته السليمة يسعى نحو المعرفة لإدراكه بأنه بقدر ما يحصل منها ويتصف بها من صفات فإنه يرفع ما عنده من جهل..

ولذا لو طرحت سؤالا على جميع الحضور في هذا الصرح، بل وعلى جميع الطلاب في جميع فروع الجامعات وفي كل الكليات والمعاهد عن الهدف الذي من اجله انتسب كل واحد منهم الى الجامعة، لأجاب: ان ذلك بهدف تحصيل العلم والمعرفة.

اذن المعرفة أمر كسبي يحصل عليها الانسان من خلال التجربة أو من خلال التعلم، والتعلم لا يكون الا من عالم، ولا يمكن ان يكون من جاهل على الاطلاق، لأن القاعدة العقلية تقول: فاقد الشيء لا يعطيه.. فالجهل لا يمكن له ان يصنع المعرفة.

اما معنى الايمان، **فهو في اللغة مشتق من الأمن، وهو يعني الاطمئنان،**

(١) معدن الجواهر و رياضة الخواطر ص٢٥.

والاطمئنان لا يتحقق الا من خلال المعرفة الإيجابية المحققة للغرض، فعندما تذهب الى قاعة الامتحانات وأنت على معرفة وعلم بمواد الامتحان فإنك تشعر بالاطمئنان لأنك على دراية بأجوبة كل الأسئلة المحتملة.

أما إن لم تكن إحاطتك بالمواد العلمية على قدر كاف فإنك تعيش حالة من الاضطراب إذ أنك لا تدري هل ستعرف الإجابات المطلوبة ام لا، ونتيجة لجهلك بالإجابات فإنك ستفقد حالة الاطمئنان النفسي بل ستعيش حالة من القلق والاضطراب.

أما الايمان بمعناه الاصطلاحي فإنه يكفل للإنسان الإجابة على مجمل التساؤلات التي يطرحها الفكر البشري عن حقيقة وجوده الإنساني، من بداية الخلقة الى نهايتها وعن مصيرنا في الغد الذي لم نصل اليه بعد، وهو مرحلة ما بعد هذه الحياة، وعن حقيقة وجود هذا الكون الواسع المتقن المنظم.

فالانسان المؤمن لديه المعرفة ويملك الإجابة على تلك التساؤلات، ويملك رؤيا واضحة فيما يتعلق بالأمس واليوم والغد، وبالتالي فإنه عندما ينسجم في سلوكه مع ما يعرفه ويعتقد به فإنه سيعيش حالة الاطمئنان الناتجة عن هذا العلم.

وبالتالي فالمؤمن بالمعنى الاصطلاحي هو من يعتقد بوجود اله خالق لهذا الكون، وأن ما نتلمسه في واقع حياتنا من وجود نظام كوني دقيق لهذا الكون بما يحتويه من فضاء واسع ومجرات وكواكب، وبحار، وهواء وماء، وبشر وحيوانات وغير ذلك مما ندرك بعض خصائصه وما لاندرك، ما هو الا نتيجة إرادة وتدبير من خالق قادر حكيم عليم، قد خلق كل شيء وأتقن صنعه ونظامه.

وهذا الاله الخالق نطلق عليه في كل لغة اسماً يختص به، فنقول عنه في العربية

أنه **الله** تعالى، وفي الإنكليزية ***God***، وفي الفرنسية ***Dieu***، وفي الفارسية **خدا**، وهكذا.

اما كلمة الالحاد.. مصدرها كلمة لحد، واستعمالاتها اللغوية متعددة المعاني، فيقصد بها في بعض الاستعمالات: الميل عن الشيء، والميل عن القصد، والميل عن الدين، وتستعمل بما يتعلق بالقبر، فيقال لحده في قبره، ويقال قبر ملحود، وتستعمل بمعنى كلمة الظلم، وبمعنى الاعتراض، وتقال لمن يدخل في الدين ما ليس منه، وهكذا.

وأما كلمة الالحاد بالمعنى الاصطلاحي فتعني الشك، او إنكار وجود الخالق.

اذن معنى الالحاد يشكل النقيض لمعنى الايمان، فالايمان يعني الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون بما يحويه من انسان وغيره، وهو ما يوصل الانسان الى الاطمئنان.

أما الالحاد فهو يعني التشكيك او الانكار لوجود الخالق، وهذا يعني عدم العلم..

فالتشكيك يعني عدم المعرفة، التي تعني عدم العلم، وعدم العلم مساو للجهل.

فالمشكك بحقيقة شيء لا يملك المعرفة والعلم به لأنه يعيش الشك، أما من يملك المعرفة والعلم فتنتفي عنده حالة الشك، لأن الشك مرحلة من مراحل الجهل.

وأما الانكار.. فإن إنكار أي شيء لا بد وان يكون مستندا الى علم ليكون انكارا علميا صحيحا، اما لو كان الانكار مستندا الى جهل، فالجهل لا ينتج عنه الا

الجهل.

ولا يرفع الجهل الا المعرفة، فالانكار التام لا بد وان يكون مرتكزا الى معرفة شاملة.

وهنا يوجه سؤال للمنكر وجود الخالق بالقول: لكي تثبت صدق مدعاك بإنكار وجود خالق لهذا الكون فلا بد لك من الإحاطة والمعرفة بكل الأشياء، وأن تكون قد قمت بالبحث والاطلاع على كل هذا الكون الواسع الفسيح وأنك عرفت كل الاسرار التكوينية والنظم التي تحكم هذا الكون وكيف تسير ضمن انتظام دقيق. وهذا ما لا يستطيع ان يدعيه أي ملحد منكر. أما الملحد المشكك فهو مقر بالجهل.

إذن إنكار الملحد ليس ناتجا عن علم بكل الأشياء، بل عن جهل وعدم احاطة، والجهل لا ينتج معرفة، فالملحد جاهل بحقيقة مبدأ الأشياء ومسارها وحدودها ونهايتها، ولا يستطيع بل ولا يمكنه أثبات عدم وجود خالق لهذه الأشياء وهو الله تعالى، لعدم احاطته بالأشياء، بل لاستحالة احاطته بها، فالمحدود لا يمكنه ان يحيط باللا محدود بالنسبة اليه، حتى لو كان محدودا بالنسبة لغيره.

وبالتالي فإن اقصى ما يدركه الانسان هو بعض الخصائص والملازمات بين الأشياء نتيجة التجربة الحسية، وهذا لا يؤهله لكي يحصل على المعرفة الشاملة بكل الأشياء ويصدر حكمه عليها بأنها موجودة من غير موجد، وهو ينكر المصنوعات الصغيرة من غير صانع، فكيف بالامور الكبيرة والعظيمة!.

بل وأكثر من ذلك فإن فكرة وجود الأشياء من غير موجد مرفوضة عند كل ذي عقل، ولكي يتخلص بعض الملحدين من هذه الإشكالية فإنهم يلجؤون الى

فرضيات يحاولون بناءَ اجاباتهم عليها، ولو سألنا عن هذه الفرضيات ومدى مطابقتها للواقع لوجدنا ان كل تلك الفرضيات تبقى أموراً نظرية قابلة للتبدل والتغير، وبالتالي لا يمكن وصف الفرضيات بأنها علم قطعي، فكم من فرضيات علمية سادت لفترات طويلة، ثم جاءت فرضيات أخرى نسفتها وغيرتها وبدلتها.. اذن الفرضيات تدخل في عنوان الاحتمالات التي لا ترقى الى مرتبة العلم واليقين، فكيف لعاقل ان يستند الى فرضية تبقى قابلة للتبدل مع تقدم مستوى المعرفة البشرية، مقابل من يستند الى علم يفيد الاطمئنان؟

والنتيجة ان إنكار الخالق وهو أحد معاني الالحاد ليس مستندا الى علم، ليكون له اعتباره في مقابل الايمان الذي يرتكز الى العلم، وبالتالي ليس من مقارنة بين العلم والجهل. فالعلم نور والجهل ظلام..

فهل يستوي عند العقلاء الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

وهنا نصل الى السؤال المحوري الذي اتضحت لنا بعض جوانبه من خلال استعراضنا لمعنى الايمان والالحاد لمعرفة موقعية العلم من نظريتي الايمان والالحاد، حيث اتضح لنا ان الايمان يرتكز على العلم، وأن الالحاد هو نتيجة الجهل. ولاثبات هذه النتيجة وبيان الفارق بين الايمان والالحاد بالنسبة للعلم نقول:

أولا: لا يمكن للعلم ان يقف على الحياد بين نظريتي الايمان والالحاد، فلا بد وان يكون الى الجانب الأقرب اليه.. وهو الايمان المرتكز على العلم، فالايمان يحل إشكالية الجهل ويعطي الإجابة على التساؤلات التي يطرحها الفكر البشري عن النشأة والوجود والمصير، وهي أن لهذا الكون خالقاً يمتاز بالصفات التي تنسجم مع ما نتلمّسه في واقع حياتنا العلمية المتنوعة من نظام محكم لهذا الكون، ويستدل

على صحتها بأدلة متعددة عقلية وعلمية لا يستطيع المفكر ان يتخطاها الى الجهل.

اما الالحاد فيرتكز على مبدأ نفي وجود الخالق، والنفي هو نتيجة جهل لا معرفة، والمعرفة المدعاة عند بعض الملحدين (بعضهم يقر بالجهل) في ما يتعلق بنشأة الكون هي فرضيات لا تصل الى مستوى المعرفة التفصيلية التي تجيب عليها نظرية الايمان.

ثانيا: إن العلم المبني على التفكر والتأمل، هو المنطلق الأول للوصول الى الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، مع الاعتقاد بوجود منظومة بشرية اختارها الخالق واوكل اليها مهمة تعليم وارشاد وانذار الانسان استنادا الى قابلية التفكير لديه من خلال ما زوده وميزه به عن بقية الكائنات وهو العقل، واكتفي هنا بذكر دليلين:

الدليل الأول: ونحن في نهاية شهر رجب فإننا نستذكر أول آيات نزلت في ٢٧ رجب على نبينا محمد ﷺ وهي الايات الخمس الأولى من سورة العلق التي تبين الترابط بين العلم والايمان: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)﴾.

الدليل الثاني: الآيتان اللتان تسلطان الضوء على مهمة الانسان في الوصول الى حقيقة المعرفة من خلال العلم والتفكر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

ثالثا: إن مما يؤكد حقيقة كون العلم موصل الى الايمان، وأنهما مترابطان، وأنه لا يمكن التفكيك بينهما هو أن علماء بارزين في شتى العلوم التطبيقية والنظرية يبطلون ادعاء بعض الملحدين المرتكز على نفي وجود الخالق واكتفي بنموذجين:

النموذج الأول: القول المنسوب لعالم الفيزياء **البرت أينشتاين**: **"العلمُ بلا دينٍ علمٌ أعرجٌ، والدينُ بلا علمٍ دينٌ أعمى"**، وهذا يعني ان العلم والايمان مترابطان.

النموذج الثاني: ما يقوله، عالم الرياضيات والفيزياء، ومن يطلق عليه أبو الفلسفة الحديثة، الفرنسي **رينيه ديكارت**، في بداية رحلته العلمية الايمانية: **أنا أشك إذن أنا أفكر، إذن أنا موجود**.

فإنه يثبت وجود الإله انطلاقاً من وجود نفسه.

ويقول: «واسأل نفسي، من أين أحصل على وجودي؟ ربما من ذاتي أو من والديَّ، أو من أي مصدر آخر أقل كمالاً من الإله؟». يتساءل باستغراب!.

فديكارت يعتقد بأنه ليس لله وجود مادي أو جسمي، ويصفه بأنه مثل العقل بالنسبة للإنسان، إلا أن الله يختلف عن العقل بأنه غير محدود، وأنه لا يعتمد في وجوده على خالق آخر، وهو ما يتضح من قوله: "إنني أدرك بجلاء ووضوح وجود إله قدير وخيّر لدرجة لا حدود لها".

ومعنى كلامه: بما أنه يشعر بوجود نفسه، فلا يمكن ان يكون سبب وجوده الحقيقي شيء ناقص او مفتقر الى الكمال، فيجب أن يكون هناك كائن خالق يتصف

(١) آل عمران ١٩٠-١٩١.

بكل صفات الكمال، وهو الذي أوجده، وبالتالي فالإله الكامل هو سبب وجوده، وبما أنه موجود فالإله أيضاً موجود. وهذا هو ما يقوله اتباع نظرية الايمان.

والحقيقة التي يتحدث عنها هي أن محاولة الوصول إلى اليقين في الموضوعات العلمية والفيزيائية سهل يسير باتباع الطريقة الرياضية، لكنه ليس كذلك بالنسبة للموضوعات الميتافيزيقية، فلا يمكن التعامل مباشرة مع موضوعات مثل وجود الإله وخلود النفس بالطريقة الرياضية.

بعد هذه البيان والسرد التوضيحي وهذه المقارنة بين العلم والالحاد والايمان، نصل الى نتيجة مفادها أن الانسان كائن يمتاز عن بقية الكائنات بما لديه من عقل، وأن العقل يدعوه للتعلم والتفكر، وأن عليه ان يحسن الاختيار بما يتبناه من عقائد، ويمارسه من سلوك في هذه الحياة على أساس تلك الحقائق، فيضمن بذلك النتائج الإيجابية من فوز ونجاح بعد هذا الفصل الدراسي من حياته في هذه الدنيا، ولكي لا يصل الى ساعة لا ينفع فيها الندم، ﴿يَوْمَ... يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[1].

وأخيرا أود أن أختم حديثي بطرح سؤال عما يدور الحديث حوله في الآونة الأخيرة في بعض مجتمعاتنا عما يطلقون عليه ظاهرة الالحاد وخاصة بين شريحة الشباب المثقف.. فما مدى دقة مثل هذه الاحاديث؟ وهل هناك ظاهرة الحادية في مجتمعاتنا؟

وعلى فرض وجودها.. ما هي حقيقتها؟ وكيف لنا ان نتعامل معها؟

ولكي اجيب باختصار عن كل ذلك فإنني أقول انه وبعد ان اتضحت لنا من

(١) النبأ ٤٠.

خلال البحث مجموعة من المفاهيم المرتبطة بالعلم والايمان والالحاد فإنني أستطيع القول:

أولا: إن ما تحدثت فيه عن الالحاد فإنه ينطبق على ما يطلقون عليه تسمية الالحاد العلمي، وهذه ليست تسمية حقيقية لأنه قد بينا أن **لا وجود لإلحاد علمي**، وهذا النوع من الالحاد ما هو نتيجة جهل وليس نتيجة علم، لأنه العلم يستند الى معرفة وإحاطة، والالحاد الذي يعني الانكار يفتقر الى العلم والاحاطة فهو جهل.

هذه هي نتيجة البحث التحليلي لمعنى الالحاد من الناحية العلمية، ونجد نصاً[1] يدل على نفس تلك النتائج عن الامام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ:

الْكُفْرُ فِي كِتَابِ الله عَلَى خَمْسَةِ وُجُوهٍ: فَمِنْهُ كُفْرٌ بِجُحُودٍ وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: جُحُودٌ بِعِلْمٍ وَجُحُودٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

فَأَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَهُمُ الَّذِينَ حَكَاهُ الله عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ ﴿وَقالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ **فَهَؤُلَاءِ كَفَرُوا وَجَحَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ**.

ثانيا: **هناك إلحاد عملي**، وهو يعني انحراف الانسان في سلوكه العملي عن جادة الصواب مع علمه بالحقيقة، وبنتائج الانحراف، وهنا تكون كلمة الالحاد قد استعملت بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي، وهذا النوع من الالحاد قد يمارسه أناس ظاهرهم الايمان وهم ممن يعتقدون بوجود الله وقدرته وبتعاليمه ولكنهم متمردون نتيجة طاعتهم لهوى النفس عندهم، كما حصل مع ابليس تماما.

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٢.

وفي ذلك يقول الامام الصادق عليه السلام في تتمة الحديث الذي ذكرناه: وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَحَدُوا بِعِلْمٍ فَهُمُ الَّذِينَ قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ **فَهَؤُلَاءِ كَفَرُوا وَجَحَدُوا بِعِلْمٍ**.

ثالثا: هناك الحاد استطيع ان اطلق عليه تسمية جديدة تستعمل لأول مرة وهو الالحاد الإعلامي، الذي يشبه الالحاد العملي ببعض جوانبه لناحية الانحراف في السلوك العملي، ولكنه لخلفية أخرى تعيشها مجتمعاتنا كردة فعل على أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية وسلوكية تعيشها بلادنا.. تُلقى فيها المسؤولية على المحسوبين على التيارات والأحزاب الإسلامية، في مجمل البلاد الإسلامية.

وهنا أود القول أنه لا بد لنا من التفريق بين الايمان بمعناه الحقيقي، الذي يعني الاستقامة في العقيدة، والاستقامة في السلوك، وبين سلوكيات أناس وجماعات وتنظيمات وتيارات تستغل الدين غطاء لأهوائها ورغباتها ومشاريعها.. لذا لا بد من الانتباه، فليس كل حامل راية يمكننا ان نتبعه إذ لا بد لنا من أن نتعرف على الحق من أهله كما اوصانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

إِنَّ دِينَ الله لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الحَقِ فَاعْرِفِ الحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه[1].

ويبين لنا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله بعض ما يمكن أن يوهم على الناس أمرهم فيقول: **لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا خَلُصَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَهُ الْأَعْمَالُ**[2].

(١) الأمالي للشيخ المفيد ص٥.
(٢) تحف العقول ص٣٧٠.

وفي نص آخر له دلالة واضحة وصريحة: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: **الْإِيمَانُ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَمَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ**[١].

وأخيرا فإن حقيقة الايمان كما يبينها لنا القرآن الكريم في الاية ٢٨٥ من سورة البقرة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالمؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المصِيرُ﴾[٢].

والحمد لله رب العالمين.

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٢٦٨.
(٢) البقرة ٢٨٥.

كتب للمؤلف

كتبٌ للمؤلف من سلسلة (العلم والإيمان):

١. عرفان آل محمد عليهم السلام.
٢. الإلحاد في مهبِّ الريح.
٣. قبسات الهدى: وقفات مع فكر الدكتور شريعتي.
٤. تنزيه التشيُّع من خرقة التصوُّف.

وأبحاثٌ أخرى قيد الإعداد.

الفهرس

مقدّمة ٥

مقال١ : العلم في خدمة الدين ٧

مقال٢ : الإلحاد في مهب الريح! ١٥

مقال٣: الملحدون والفانوس السحري! ٢٧

مقال٤ : الإلحاد وبراهينه العمياء! ٣٧

مقال٥ : عليٌّ ينير طريق الملحدين ٤٥

مقال٦ : (الإلحاد الجديد) في مدرسة الصادق عليه السلام ٥٥

مقال٧: لماذا ظل الملحد منبوذاً؟ ٦٧

مقال٨: الملحد عدو نفسه ٧٧

مقال٩ : إلحاد أم عناد؟! أين الله؟! ٨٩

مقال١٠ : الدين.. فوق شبهات الملحدين ١٠٥

ملحق: محاضرة: العلم بين الالحاد والايمان ١١٩

كتب للمؤلف ١٣٣

الفهرس ١٣٥

هذا الكتاب..

يتضمن عشر مقالات مُبسَّطة قدر الإمكان..
تبدأ من جدليّة العلم والدين.. لتغوص مع أشهر الملاحدة المعاصرين في بطون كتبهم.. وتقرأ سطورهم وما بينها.. لتكشف عن ضحالة فكرية، وضعف علميٍّ هائل، وتناقض رهيب، وتغييب لدور العقل والمنطق في تبني الإلحاد..
ثم تعمد إلى إلزام الملحدين بلوازم اعتقادهم.. وترشدهم إلى مدرسة علي عليه السلام، منارة العقل والدين..
وتهديهم إلى طريق ينجيهم من سياط المجتمع المجرّدة عليهم.. لمّا عادوا أنفسهم وعاندوا الحق.. لتبيّن لهم أن الدين.. فوق شبهات الملحدين..